نسأل الله السلامة

(مجموعة قصصة)

تاليف / فخرى فايد

نسأل الله السلامة

.. لا يدرى ماذا أصابه منذ أن سمع المقرئ يتلو قول الله تعالى :

- قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً 0 الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) (الكهف: ١٠٤-١٠٣)

وكأنه لاول مرة فى حياته يستمع إلى هاتان الآيتان رغم انه كان دائم القراءة للقرآن ويصر أن يختمه فى شهر رمضان من كل عام

لعل حزنه على فقد مساعده وكان لم يزل فى فورة الشباب قد أثر فيه وجعله يشعر بما شعر به من الهلع والإحباط حتى انه لا شاغل له طيلة الطريق من مكان الزاء حتى بيته غير سؤال واحد :

-أتراه من هولئك الذين ضل سعيهم وهو يحسب انه يحسن صنعا ؟

وحين دخل شقته الصامتة وجد أن الصمت قد ازداد فيها فهو وحيد رغم أعوام عمرة الخمسين ورغم نجوميته واسمه الرنان كمخرج فى عالم السينما والأضواء.

لم يفكر للحظة من قبل انه وحيد كان دائما محاط بالزملاء والزميلات لم يفتح من قبل باب مسكنه ووجده على هذا الحال من الصمت والوحشة .

ولكن هو من فعل هذا بنفسه لقد تحرك من مكان العزاء مسرعا دون ان يلتفت حتى إلى أنصاف المشاهير من الممثلين الذين راحوا يشيرون إلى لكى يصحبوه .

حتى صديقه النجم الكبير قال:

شكرا

حين قال انه سيصحبه فى عودته للمنزل لما لاحظ عليه شروده وامتقاع وجهه " الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا"

مد يده الى التلفاز وضغط زر التشغيل بلطف فوجد أمامه بطلت المفضلة عارية على البلاج ،البطل يطاردها بنظراته وهى تدلل عليه

قالت له قبل أن يصور المشهد :

آلا يكفى يا أستاذ كل ما اظهر لباس البحر من جسدي ؟

علق ضاحكا من قولها :

والجماهير المتعطشة للجمال هل نحرمها مما خفى . أريد مزيدا من العرى

ضحكت ضحكة مغتصبة الآن فقط يسمعها كالبكاء تقطر مذلة وطاعة

أمرك يا أستاذ

نفذت أمره وكشفت عن القليل الذى كان مستورا

وليته ما قال وليته ما صورها وليتهم ما عرضوا فيلمه ترى لماذا يعرضونه الآن وهو فى هذه الحالة النفسية السيئة ؟

الكى يعرف انه كان ف ضلال وانه من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهو يظن انه يسعد الجماهير وتحقق أفلامه الملايين من الجنيهات ؟؟

لقد ماتت بطلته

كما مات مساعده فجأة اليوم فى ارض التصوير وهو ينادى مطالبا الموجودين بالصمت ثم سقط يتألم بشدة وقد ضغط بكلتا يديه على صدره وما ان وصل به الى المستشفى حتى غادر الحياة دون أن يقول كلمة واحدة لكن هى مرضها طال ضمرت وجف عودها وتساقط شعرها وذهب الجميع من حولها آلا هو وحدة الذى ظل يتردد عليها فى المستشفى وفى البيت وهى تزوره وتنتهى يوما بعد يوم ..حتى لفظت أنفاسها وهى تبتسم فى مرارة تسأله :

اعتقد يا أستاذ أنني لم اعد اصلح للتصوير ولا حتى المشاهدة فلقد ذهب عنى ما كانوا يحبوني والا ما تركونى .تصور انه لم يزرنى غيرك منذ شهرين ؟

أين الأضواء والمعجبين والأيدي الممتدة بالتحية والعيون . التى تطاردنى بالفحش والاعجاب وكانت على الشاشة قد سقطت بين يدى الذئب الذى ينهش شفتيها وفجأة ساء الإرسال ثم اختفت الصورة وراء سحابة سوداء ولكن الصوت ظل على وضوحه:
إلى الماضى ذهبوا سقط كل ذلك الذى تخيلته مجدا فى جب النسيان لانه وهم من وهم وبقى على أن ابحث كل يوم وحدى ومعى دموع توبتى عن مغفرة الله ترى هل يغفر لى ربى ؟
كانت تشهق
آخر مرة رآها فيها كانت تشهق، كانت كلماتها تتعثر ... تضمر كلماتها أيضا ضمرت وجفت كعودها، وكان ينحنى عليها متأففا من رائحة فمها ويهمس فى صدق يطمئنها :
- إن الله رؤوف رحيم هو سبحانه الغفور
قالت قبل لن تهمد حركتها هامسة :
- اسأل الله السلامة
وسكت الصوت ..
وسكت كل شيء
إلا من نشيجه هو :
كان يبكى بحرقة مد إصبعه وأطفأ التلفاز وانهار فوق الكرسى القريب .
... احبها فى بدء مسيرتها كانت صغيرة جميلة بريئة كل ما فيها محبوب حتى تلعثمها أمام الكاميرا عاملها بصر جميل دربها واخلص لها لكن مع كثرة الخطى وطوال السهر لتحقق النجومية والشهرة بدأت تفقد نضارتها كل شيء جميل فيها كان ينطفئ حتى حبه لها ورغبته الصادقة فى منها والابتعاد بها عن حياة الليل والأضواء.
-لكن لم اكن أنا سبب فى ضياعها ؟ أجابته نفسه :
-لا ... فلم تكن السبب الرئيسى.
قال فى غضب:
ولكنى ساعدتها ولو أننى صرخت فيها عودى إلى أسرتك التى هجرتيها ... ولم افتح لها بيتى وذراعى لكى تسكن فيهما . لما جرفها تيار الضياع .
سكنت النفس فجأة وهدأ العقل فلقد تألقت فكرة كوهج الفلاش :
إذا أنقذ ما تبقى منها
نهض إلى المسيرة يطلب منتج الفيلم بعد طول حديث اقتنع المنتج انه هو المخرج الكبير :
اعتذر يا أستاذنا فصوتك غريب على أذني هل هناك شيء ما يضايقك ؟
قال له :
هذا ليس موضوعنا أريد أن أسألك - كم تنال من وراء عرض الفيلم " العرايا " بالتليفزيون ؟
رد المنتج فى حسرة :
آأخذ ملاليم يا أستاذ أنت أدرى بلصوص الإدارة : فهناك لجنة للمشتريات ولجنة لاقرار صلاحيته ثم العرض على الرقابة و... الكل يريد ان يأخذ وينتهى الأمر الى ملاليم
قال فى حسم :
-كم تنال ؟
رد المنتج :
ما يدخل جيبى لا يزيد عن الالفين من الجنيهات .
قال وهو ينهى الحديث:
-سأعطيك ثلاثة آلاف . اكتب عقدا يعطينى وحدى حق العرض بالتليفزيون ونلتقى غدا صباحا لتأخذ ثلاثة آلاف جنيه.
ترك سماعة المسرة وهو فى غاية النشوة والنشاط واتجه إلى مكتبه وجلس يكتب إلى رئيس التلفاز إخطارا ينذره بعدم إعادة عرض فيلم "العرايا" بناء على العقد المبرم بين وبين منتج الفيلم وآلا سيضطر إلى اللجوء إلى القضاء

وحين انتهى نهض إلى مسجل المسرة وترك رسالة تقول لكل من يطلبه:
لقد ترك الأستاذ الإخراج فإذا كنت تبحث عن مورد للقمح أو الخضرة أو الفاكهة فاتجه اليه بمزرعته التى نسيها طويلا بصحراء سيناء .
انهى التسجيل واتجه وجهز الشريط فى وضع الرد على المتحدث . ثم ضغط زر الرد الآلي بالمسرة والتفت فوجدها أمامه متأنقة كما كانت فى بدء عمرها وهى تبتسم له فى حبور قائلة:
ـ نسأل الله السلامة .

جريدة المسلمون مايو ١٩٩٣

أترضاه

حباه الله منذ صغره بوجه جميل، حتى أن النسوة من جيرانهم كانوا يتقربون إليه ويسعون إلى تدليله وهدهدته علهم يوعدون بأولاد فى مثل جماله، ولما شب تحول الإعجاب إلى عشق ومواعدة ومطاردة، وتسليم كامل فى الجسد والمشاعر، فلما انتهى من دراسته وحصل على وظيفة يحلم بها أى شاب جاءته عن طريق ابنة أحد المسئولين كانت زميلة له فى الجامعة، وهامت به عشقا، ولكن أباها رفض أن يزوجها له فلقد كان رجلا ينظر لما هو أكبر مما هو فيه ويتمنى أن يصبح فى يوم ما أحد الوزراء، فزوجها من ابن شخصية تملك مداخل السياسة، أدركه سن الزواج أصبح لا يثق فى امرأة فكلهن ميسرات لرغباته ونزواته، فلماذا لا يفعلن مع غيره ما يفعلن معه .

التقى بها، بهر بجمالها، راودها طويلا عن نفسها، استخدم معها كل الأساليب التى نفذها مع غيرها ونجح ونال ما أراد، لكنه بعد كل محاولة، وحين يظن أنه قد وصل إلى نقطة التسليم يفاجأ بها تنظر إليه فى دلال وتقول : هل انتهت اللعبة ؟..

ذات مرة قرر أن يستدرجها إلى شقته، بل وحتى لار تقاومه قرر أن يضع لها مخدر فى مشروبها، ونفذ نخططه ادعى أن أمه فى غاية المرض وأنها قدمت من قريتهم ليذهب بها إلى طبيب كبير وأنه يريدها أن تتعرف عليها كزوجة المستقبل لابنها ووحيدها ،

صدقته كانت حروفه منتقاه، وكان يتحدث بصدق شديد، اقتنعت، رافقته إلى حيث يسكن بأحد الاحياء الراقية، حين فتح باب الشقة لم تجد أحدا، قال ان أمه تلازم الفراش فحالتها غاية فى السوء، صدقته، قال انه سيدخل الحجرة ليوقظها، واختفى خلف الباب للحظات ثم عاد ليخبرها أنها فى خال كالغيبوبة وأنها مستغرقة فى نوم عميق، واقترخ أن يعد لها كوبا من العصير، ووافقت وجلست متحفزة فى مقعد قريب من الباب .

دخل المطبخ، أخرج كوب العصير المعد من قبل، أسقط داخل العصير حبة مخدرة، ثم عاد محاولا أن يخفى تحفذه وسروره، ناولها الكوب فتناولته شاكرة، قال :

ــ اشربى .. وسوف أحاول ثانية أن أوقظ أمى .

تركها وتقافزت خطواته إلى الحجرة المغلقة ففتح الباب ثم خرج صوته هامسا :

ــ أمى .. أمى .. استيقظى يا غاليه .

خرج بعد لحظة وجذب الباب خلفه، وقال :

ــ انها مازالت فى نوم عميق ..

ثم نظر من طرف خفى إلى كوب العصير، لم تكن قد تناولت منه سوى قطرات، تساءل مندهشا :

ــ انه عصير البرتقال الذى تحبينه .

قالت له وهى تضع الكوب على المنضدة :

ــ أحس بغرابة فى مذاقه، لعلك أعددته من فترة فتغير طعمه .

قال محبطا :

ــ هل اعد لك كوبا من الشاى .. أنت تحبين الشاى .. هه ؟

قالت :

ــ إذا اعده أنا .

نهضت إلى المطبخ، دخل خلفها قائلا :

ــ سأريك مكان الشاى والسكر .

التصق بها عامدا وان تظاهر بعدم القصد، انتفضت وقالت غاضبه :

ــ وبعد .. سأترك الشقة فورا .

انتابه حال من اليأس وقرر أن يهاجمها بشدة، قاومته، ولكنه كان الأقوى، وحين جذبها إلى خارج المطبخ ودفع بها إلى الأريكة، أدركت كذبه والخطر الذى يحيق بها فانسابت دموعها، وسألته عاتبة وكلماتها ترتعد :
ـ أترضى هذا لأختك أو لأمك ؟!.
وجد نفسه يعتدل وقد ماتت كل مشاعر الرغبة، وارتمى بجوارها وقد راح فى حال من اللاوعى، ووجد نفسه يقف بين يدى كلمات قرأها أخيرا فى كتاب أهداه له صديق، ففى أحد فصول الكتاب رأى رسول الله ρ يجلس فى المسجد، وقد وقف فتى صغير بين يديه يسأله مرتجفا، يقول :
ـ أأذن لى بأن أزنى يا رسول الله .
وغضب الصحابة من صفاقة الفتى وزمجروا وتنافروا من حوله يريدون أن يفتكوا به، ولكنه ρ أشار إليهم ليتركوه، ثم قربه منه ورد على طلبه بسؤال، قال :
ـ أترضاه لأمك ؟.
انتفض الفتى قائلا :
ـ كلا .
وظل ρ يسأله عن مدى قبوله للزنى فى دائرة من يعزون عليه، والفتى يزداد رفضا حتى كره الكلمة والفكرة وبكى مستغفرا الله، ومعتذرا عن طلبه .
اعتذر لها، قال وقد امتلأ خجلا من تصرفه :
ـ هيا لأرافقك إلى بيت أسرتك .
جففت دمعها، وتهندمت ثم لحقت به، وحين نزلا إلى الطريق فاجأه بعدم اصطحابها فى سيارته، بل صحبها إلى محطة المترو، وركبا سويا، وحين وصلا إلى حيث تسكن تراجع قليلا ثم ابتعدت عنه وقلبها ينزف ألما، وهى تشعر أنها لن تراه ثانية .
ألقت بالتحية على من صادفت من اخوتها واتجهت فى خطوات متعثرة إلى حجرة نومها، وما أن أغلقت خلفها باب حجرتها حتى ارتمت على الفراش وقد أجهشت بالبكاء .
لا تدرى كم من الوقت مر بها وعليها، ولكنها وجدت يد أمها تلمس كتفها وتخبرها بأن أباها يريد أن تذهب إليه .
مسحت بقايا الدمع من عينيها بخفة حتى لا تراها أمها باكية، وقالت لتطيل من الوقت :
ـ سأخلع ملابسى وألحق بك يا أمى .
قالت الأم :
- بل ان أباك يريدك بملابس خروجك هذه لأن معه ضيوف أغراب .
اعتدلت ، ثم نهضت فنظرت فى المرآة وعدلت من هيأتها وخرجت متوجسة تسير وراء أمها مطرقة الرأس مستغرقة فى اللحظات القاتمة التى مرت بها، ولكنها حين قال لها أبوها :
- سلمى على ضيفنا يا هند .
رفعت رأسها فوجدته أمامها مبتسما وقد مد إليها يده لتتلقف يدها فى مودة ورحمة .

مجلة أكتوبر

ا لمـــدلل

تلفت حواليه ، تأكد من أن أحدا فى البيت لا يراه ثم انحنى على الفراش ، ينظر إليه وهو نائم ، ولما تأكد من استغراقه فى النوم ، بدأ يلف عنقه فى خفه بالسلسلة الذهبية، ويحكم اللف ، حين تدلى الجنيه الذهبى على الصدر ، فرد ظهره ، وحرك ساقية متراجعا إلى الخلف قليلا، وراح يتأمل الطفل الصغير فى حب شديدة ألا ما أشد الشبه بينهما ! حتى لقد قال من رأوه : إنكما حبة فول قسمت إلى شقين . على عكسه البنات إنهن شديدات الشبة بأمهن ، خمس بنات . يا ه عدد كبير وعذاب اكبر مع حمل زوجته فى كل منهن والانتظار على أمل ... أه من مرارة الانتظار ، كانت الشهور تمر به كالقرون ، وهو يرقب فى اهتمام استدارة البطن وهى تزداد انتفاخا والأمل يزداد نموا فى أعماقه ، أن يرزق بالولد، ثم تجئ اللحظة ببطئها، وخيبة الأمل التى كانت تملأ حلقه بالمرارة، حتى لقد فكر طويلا لكثرة تكرارها ، انه سوف يستمر يتجرع المر طيلة حياته ولا يجنى الشهد ، حتى لقد تكاثر حوله الناصحون : تروج غيرها المرأة هى الماعون ، وهى من تنبت البنات . حين أعلن بكل وضوح ، أن لن يترك زوجته ، لأنه يحبها، وهى قدم سعد فى حياته كلها ، وهو لا يتخيل كيف تكون هناك حياة بدونها ؟ تحولوا يقولون :

- تروج فى الخفاء ، أنت رجل ثرى، وتستطيع أن تتزوج ، وتفتح بدلا من البيت بيوتا.

قال لهم ليغلق باب الحديث :

- أمهلوني حتى أفكر قبل أن اتخذ قرارا .

وكان قراره معلنا فى تجهمه كلما التقى بأحدهم، حتى انهم خافوا من معاودة الحديث معه ، كان موقنا أن الذنب لا يقع على زوجته ، فهى بداية وانتهاء، إرادة الذى يهب من يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور ولكن هاهو ذا الذكر قد جاء أخيرا، بعد مرات خمس من خيبة الأمل، وان لم ينقطع الرجاء، كان استقباله له شيئا مختلفا تمام الاختلاف ، فلقد غشيته فرحة طوقت بدنه بالخدر، وحين سجد لله شاكرا، تسامى فى الحمد لله علي ما وهب، حتى لكأنه لم يرزق بالخلف من قبل، أما هو، ذاك الصغير، فلقد استولى على كل مشاعره، أيقظ فيه طموحات الثراء وحب الاكتناز وحب الحياة، والتعلق بلحظات الانتهاء من العمل لكى يعود إلى البيت لكى يراه، ويتلمس شعره الحريرى، ويلصق انفه بملابسه يتشمم فى لذة رائحة عرقة، بعد أن كان قبل مولده، يفكر فى ألف سبيل يأخذه بعيدا عن طريق العودة، بل لقد فكر فى أن يهجر ذاك البيت الذى لم يحقق طموحاته، ووأد أماله فلعل فى تغيير المكان تحقيقا للآمال !!

مع مولد الشهد : نسى كل من بالبيت زوجته الحبيبة، لم يعد يحرص على أن يقضي معها سهرة المساء ليقص عليها شريط يومه ،بناته لم يعد يهتم بهن ، حتى قبلة الصباح لم يعد يسعدهن بها ، وكان كلما تنبه إلى هذا الهجر، يرد بسرعة . لقد دللتهن كثيرا ، وقضيت معهن من عمرى أكثره ، حتى لم يتبق منه إلا القليل، فليتركه لأمله الجديد ليعطيه كل ما تبقى بالجعبة من الحب .

عاد فانحنى على الفراش ، وطبع قبلة على جبهة الصغير، ثم تسلل على أطراف أصابعه خارجا من الحجرة ، حتى لا يصدر منه صوت يقلق منامة ، متجها إلى المطبخ حيث زوجته والشغالة العجوز قد استغرقهما أمر طهو الطعام ، وكما يحدث كل يوم زجر الخادمة مؤنبا :

- ألن تعفينى من تكرار تنبيهى اليومى لك، بأن تكونى مع الصغير مادامت سيدة البيت بالمطبخ، اتركى ما بيدك وأذهبى لتجلسى بجانبه حتى يستيقظ ، ولا تنسى أن تعطيه الفيتامينات فى موعدها، وتنبهى لان يتم ذلك وسط الطعام، وليس قبله أو بعده .

.. ورغم انتهائه من تنبيهاته، ظل واقفا حتى انتهت الخادمة من غسل يديها، ثم خرجت من المطبخ، وناولته اللفافة المعتادة قبل أن تذهب إلى حجرة الشهد، تناولها منها واستدار متوجها إلى باب الخروج وصوته يعلو شيئا فشيئا منبها زوجته إلى ضرورة ملاحظة الولد من آن لآخر. وحين جاءه صوتها متسائلا :

- ألا تقبل البنات قبل خروجك ؟ قال لها فى لا مبالاة :

- سأقبلهن حين أعود من العمل .

نزل السلم ، اتجه إلى الحديقة، قصد إلى كشك الكلب، خرج الكلب من الداخل متثائبا فى كسل واضح، بينما راح هو يفتح اللفافة بحذر، ثم وضع اللحم المشوى فى وعاء، واخذ يتابع الكلب فى سرور وهو يلتهم اللحم هازا ذيله فى تعبير عن الرضا .
من بعد كانت كلاب جيرانه تتابع ما يحدث من وراء السور الحديدى، وعيونها تراقب فى حسد شديد ذلل المدلل الذى ينفرد باللحم من دونهم، ولقد تساءل كثيرا : أين رأى مثل هذه النظرة ؟.. . فنظراتهم كانت دائما تبدو مألوفة لديه، ولكن من صاحبها ؟ وأين تعثر فيها، أو مازال يتعثر ويراها؟ ، لعلها كانت نظرة ممثل فى مشهد من مشاهد الأفلام ، أو نظرة الساعى بمكتبه ، أو نظرة الخادمة العجوز حين يؤنبها ، أو... أو. .. هو لا يدرى على وجه اليقين، لكنه على كل حال متأكد من أنه ألف أن يراها، وهى نظرة ليست غريبة عليه، إما أين ؟ أو ممن ؟ فهذا الذى لا يثق منه .
حين أراد أن يعبر الباب إلى حيث ترك سيارته، هجمت الكلاب تريد الدخول إلى الحديقة، لتلحق بما تبقى أمام المدلل من لحم، ولكنه أعترض طريقها، واخذ يركلها بحذائه ويزجرها فى عنف وملل ليمنعها من الدخول، ولكن الكلاب قاومته فى ضراوة متحملة أذى ركلاته، وقد رأى فيها إصرارا لم يكن يجده لديها من قبل، فلقد كانت تزدجر من صرخته وتهرول مبتعدة، أما اليوم فحالها مختلف عن كل الأيام السابقة، فهى تصر على أن تدخل إلى حيث وضع اللحم حتى لقد اتعبته ، وهدت قواه ، ليتمكن من أبعداها ، ثم وبمشقة شديدة اغلق الباب دونها وما تريد، وهو يصرخ فيها غاضبا :
ـ كلاب طماعة لا تكتفى ، لقد وهبتكم الكثير من الطعام، ومن اهتمامى قبل أن اعثر على هذا الكلب المسكين يوم مولد الشهد .
تنهد وهو يشهق شهقة كبيرة ليملأ صدره بالهواء، فى محاولة لتجديد النشاط ، بعدما أهدر من جهد فى طرد الكلاب ثم توجه إلى سيارته، وشغل محركها، وقبل أن ينطلق مبتعدا، ألقى بنظرة أخيرة على الكلب، واطمأن إلى انه قد التهم اللحم جميعه، ثم تنهد فى راحة، وأطلق لسيارته العنان.
طيلة أدائه لعمله لم تفارقه مشاعر القلق، كان لا يدرى لها سببا، فالشهد بخير : تركه نائما وقد انتظمت أنفاسه فى هدوء وسلامة، والخادمة العجوز تجلس الآن بجواره منتظرة أن يصدر عنه ما ينم عن اليقظة، فتسرع إليه بالإفطار، وسوف تتذكر ما أمرها به فتناوله قطرات الفيتامين وسط الطعام، وزوجته بالمطبخ تعد له أكلته المفضلة، والبنات فى حجرتهن يلعبن فهن فى إجازة من مدارسهن و. . و .. رغم استعراضه لكل ما يهمه فى حياته من أحياء، ظل قلقا لا يشعر بالاطمئنان.
ولكى يطمئن اتصل بالبيت، وأوجد مبررا لاتصاله، فهو يأخذ الرأى فى رغبته فى شراء نوع من الفاكهة، يعرف أن زوجته والبنات لا يطقن مذاقها، وحين جاء صوت زوجته قائلا كالمعتاد:
ـ اشتر ما تريد، ولكن لا تنس أن تحضر للبنات ما يحببنه .
.. لاحظ نبرة حزن وجزع فى نبراتها، فتساءل فى لهفة :
ـ هل حدث مكروه للشهد ؟
ردت زوجته :
ـ هو بخير، ولكن !!
وسكتت ولم تكمل، فعاد يسألها وقد شملته راحة وإن بدا قلقا بعض الشىء :
ـ أذن ماذا يحزنك ؟ ماذا حدث ؟ هل البنات بخير ؟
قالت زوجته وهى تكتم صرخة جزع وحزن :
ـ كلنا والحمد لله بخير، ولكنك لن تصدق بشاعة ما حدث، فهو أمر مخيف لقد خرجت من المطبخ على صوت صراخ، وعواء رهيب بحديقة المنزل، وحين أطللت من باب البيت، وجدت ويا هول ما وجدت، وجدت كلاب الجيران قد قفزت من فوق السور الحديدى، وراحت تهاجم كلبنا فى ضراوة، وأنا أصرخ فيها، والمسكين يصرخ، ويتقافز، والبستانى قد حضر على عويلى، وراح يضربها بعصا غليظة، والكلاب لا تأبه بضرباته فقد توحشت، واستمرت تهاجم كلبنا .. تعضه فى جنون، وتتجاذبه من كل الأجناب .. حتى مزقت لحمه، ولم تتركه إلا عظما

يرعب منظره من يراه، حتى أننى لم استطع أن أحادثك فى الأمر، ولم أتوقف عن البكاء للآن، هل يتصور أحد يا حبيبى أن الكلاب قد أكلت كلبنا المدلل ؟!

تسال فى هلع :

- ماذا ا ؟ ماذا تقولين ؟ الكلاب أكلت المدلل، إنه أمر رهيب . . رهيب أن يصل بها الحقد إلى هذا الحد ؟

اغلق السماعة وهو فى ذهول، بينما شل الرعب عقله عن التفكير، فجأة تفجرت بداخلة ثورة على نفسه، فلقد أيقن انه هو السبب فى كل ما حدث، فلقد أثار طاقات الحقد والكراهية لدى الكلاب نتيجة اختصاصه لكلبه بأحسن الطعام، ألا ما أشد غباءه ؟

تنهد في كرب شديد، ثم لملم أحزانه ، وجمع ما تبقى من أوراق لم ينجزها، ووضعها فى حقيبته، ونهض عائدا إلى منزلة .

قبل أن يصل إلى الباب، أوقف السيارة بجوار أحد المحلات المجاورة ونزل، غاب داخل المحل فترة طويلة، ولما خرج كانت خطواته تتقافز فى سعادة، بينما كانت يداه محملتين بهدايا كثيرة لبناته الخمس، أما عقله فكان مشحونا بعشرات الحكايات التى سيقصها عليهن قبل أن يستغرقهن النوم .

مجلة أكتوبر مايو ١٩٩٩

رجل فقير جدا

ـ ١ ـ

قبل أن يموت أبوه أوصاه أن يحافظ على ثروته، وأن ينميها، فلقد كان الأب بخيلا كون ماله من الربا .. ولقد قال له ناصحا :

ـ لا تستمع إلى أخوك الأكبر، ولا تسير على دربه، فهو مسرف لا يمتلك قرشا إلا وبدده، وسوف يبيع كل ما يؤول إليه بعد موتى، ويضيعه على زوجته وأولاده ومتعه الدنيئة التى لا تنتهى، أما أنت فأراك حريصا منذ صغرك، فكن مثلى، واسلك مسلكى فلا قوة إلا بالمال .

وهذا ما تحقق بالفعل، مؤكدا صدق أبيه، وثاقب نظره، فما أن مات الأب حتى بدأ " حامد " فى الإعلان عن بيع قطعة من الأرض التى ورثها، فأسرع هو إليه وتعاهد معه بأن لا يبيع لأحد غيره، وبعد جدل ومداهنة اشترى قطعة الأرض بأقل من سعرها، وما أن استقرت رزم النقود فى يد أخيه حتى سارع بشراء شقة فى حى راق، وانتقل إليها مع أولاده الخمسة، ولم يكتف بذلك، بل أثث البيت الجديد بأحدث وأغلى أنواع المفروشات، وسرعان ما صار كفه خاويا بلا جنيه واحد، فجاءه يعرض عليه شراء قطعة أرض جديدة، واشترى لنفسه سيارة، بل واشترى لزوجته سيارة ثانية، وحين عاتبه على إسرافه رد عليه " حامد " قائلا :

ـ ملعون المال الذى لا يسعد صاحبه .

وحين اشتد فى العتاب، قال له أخوه الكبير :

ـ أليس ما أنفق مالى، إذا فلا شأن لك بما أفعل، ولو قصدتك يوما سائلا العون فلك أن تغضب، بل وأن تطردنى وتتبرأ منى .

ثم قال له ناصحا :

ـ يا أخى لا تخش الفقر، فالله هو الرزاق، وطالما كنا لا نسرف، ولا ننفق المال فى أوجه تغضب الله، ولا ننسى أن نخرج ما علينا من زكاة، فلا خوف علينا من الفقر .

ـ ٢ ـ

.. أصابته كلمات أخيه " حامد " فى صميم أعماقه، وشعر بغصة جعلته يبتلع الكلمات التى كانت على طرف لسانه، فلقد كان فعلا يخشى الفقر، بل ويشعر بأنه فقير جدا، أمام سفه أخيه وكثرة إنفاقه، ومبالغته فى إنجاب الأبناء، فبماذا سيفيده ذلك، غير كسر الظهر وكثرة المطالب، وضياع المال ؟!!.

وحين علم بأن أخيه الكبير قد نقل أولاده من المدارس الحكومية ليدخلهم مدارس خاصة باهظة المصروفات، لم يملك نفسه، وعاد يعاتبه على هذا التصرف الأحمق، فرد عليه قائلا :

ـ إن أولادنا هم الثروة الحقيقية التى يهبها لنا الله، والعلم هو السلاح الذى نتركه لهم ليواجهوا به الدنيا، وهم الذكرى التى نتركها بعد موتنا .

.. ولم يملك سوى أن يتمتم لنفسه :

ـ سفيه، أخذ ما لا يستحق، وبالقطع سيبدد كل ما ورث ليموت شحاذا .

ـ ٣ ـ

.. لقد كان يشعر فى قرارة نفسه بأنه ما كان على أبيه أن يورث هذا الأخ المجنون، الذى لا يعرف حدوده، ولا واقع حاله وموقعه بين الأغنياء الحقيقيين من أصحاب الملايين والمليارات، فهو يتصرف معتقدا أنه من الأثرياء، بينما هو فى الواقع فقير .. فقير إذا ما قورن بهم، ولكنه ليس الوحيد المذنب، فأبى أيضا جزء مما يحدث، خاصة وأنه كان يعرف بسفه أخيه، بل ولقد أعلنه به، فلماذا لم يحرمه من الميراث .. لماذا ؟!!. .

وإذا ما كان الأخ الأكبر يفعل ما يفعل، كان هو يسعى لأن يعوض ما ضيع بمزيد من التقتير على نفسه، وبمزيد من الحرص على ما ورث، بل وتنميته وتكثيره، فهو إذا ما أضطر لأن ينفق مهما كان ما ينفقه قليلا كان الشعور بالفقر يزداد اشتدادا عليه ، فكل قرش ينفقه يتهدد وجوده، لذلك ظل مقيما لزمن طال فى الحى الشعبى، وفى نفس البيت الذى نشأ فيه، إلى أن نصحه وكيله فى البورصة بضرورة ترك هذا البيت، بل واشتد عليه حين ما ماطله ولم يستجب لنصحه فهو يرى ضرورة ظهوره بمظهر يدعو الجميع للشعور بأنه أكثر ثراء، حتى يستطيع أن يحقق المزيد من الثروة، وحتى تقبل البنوك إقراضه، ويرضى التجار ورجال الأعمال أن يبيعوا له بضاعتهم بالآجل، ولولا هذا جميعه، ما استجاب له وانتقل للسكنى فى حى الأثرياء بالمدينة، ولما اضطر بعد فترة إلى بيع سيارته القديمة، وشراء سيارة جديدة بل وشديدة الفخامة، وثمنها قاتل، ولقد ناقش وكيله فى ذلك طويلا وراح يسوف ويناور، فاقترح أن يستأجر السيارة كلما أراد الظهور أمام أصحاب الأعمال، بدلا من شرائها، لكن وكيله أقنعه عن طريق الأرقام والحساب، بأن الإيجار سوف يكلفه نفس قيمة القسط الشهرى الذى سيشتريها به إن لم يكن سيزيد عنه، ولما رأى المال ينحاز لفكر وكيله وافق واشتراها، لكنه بعد حين فوجئ بوكيله يطلب منه أن يستخدم سائق، فاقترح عليه أن يدرب الطباخ على القيادة ليقوم فى أوقات فراغه بهذا العمل، لكن الوكيل أوضح قائلا :

- بل يجب آن يكون من ستستخدمه سائقا مدربا وشديد التأنق وله سابقة عمل عند الطبقات الثرية .

وقد كان ووجد نفسه أمام شاب قوى البناء حسن المظهر، شديد التأنق، حتى أنه صار ينقم عليه فى اللحظات التى يقف فيها أمام المرآة ليرى ما قد ارتداه هو، فلقد كانت ملابسه تبدو فى غاية السوء، لأنه كان يشتريها من أرخص المحلات منتهزا مواسم التخفيضات وبيع البقايا من مخلفات المصانع، ولم لا يكره إسراف هذا الشاب، أليس المال الذى يشترى به من راتبه الذى يتقاضاه من ماله؟!.

فيشتد كربه، ويزيد حزنه على ما ينفق فهو يقلل من ماله ولا يزيده، رغم حرصه الشديد على ألا تمتد يد إلى جنيه تم إيداعه فى حسابه، فعلى الجميع أن ينتظروا العائدات التى تدرها استثماراته بالبنوك، ولهذا فلقد تضخمت ثروته بمرور السنين!!.

كان يتابع الحياة الاقتصادية بشغف وتحفز، ولا يترك فرصة القنص إلا واهتبلها، وحين حدث تعثر لشركات النقل البحرى بسبب الكساد التجارى، اشترى باخرة ثم أخرى حتى أصبح يملك أسطولا كبيرا يعمل فى نقل الركاب بين الدول الفقيرة، فلقد وجد ذلك أضمن، واكثر ربحا من انتظار نقل البضائع .

- ٤ -

ذات يوم أبلغه أولاد أخيه بموت أبيهم، فنصحه وكيل أعماله بأن يقيم له مأتما ضخما، ليظهر قوته وثراءه للمنافسين، فاتصل بأبناء أخيه ونصحهم باختيار دار مناسبات فخمة، ومقرئين من المشاهير، وسارع سكرتيريه بالاتصال بكل من يتعاملون معه ويخطروهم بالموعد والمكان الذى سيتواجد به " الباشا "، ولقد وجدوه بالفعل يتصدر القاعة ويتلقى العزاء، وقبل أن ينتهى المقرئ من ختم القرآن فر هاربا، فلقد أدرك أن عليه أن يدفع تكلفة المأتم إذا ما استمر جالسا !!.

- ٥ -

وفى ذروة موسم الحج ونشاط بواخره بين موانئ مصر والسعودية، أعطبت باخرة منها، وكادت تغرق بركابها، بسبب انفجار المحرك الرئيسى بها، وحين بلغ الملياردير ما حدث ثار ومار وتوعد المتسبب بأشد العقاب بعدما حرمه من عائد موسم من أهم المواسم، وطلب إخطاره باسم المتسبب فى هذا الخراب، أما المحرك فلقد كان على ثقة من كون شركة التأمين سوف تشترى له محركا جديدا بدلا من القديم، وهو ما هون عليه الخسارة فثمن المحرك الجديد يغطى مواسم عديدة، وجاءه تقرير المساعد الفنى ليؤكد أن كبير المهندسين هو المتسبب فى هذا العطل، فلقد كان يحقد عليه ويكرهه لتفوقه وعلمه الغزير، وهو ما كان يحبط طموحاته فى أن يكون هو المهندس الأول على الباخرة، ولهذا فلقد جاء قرار الملياردير برفت المهندس الأول وبحرمانه من كل حقوقه عن الفترة التى عملها، رغم تأكيد مكتب الخبرة الذى عاين

المحرك بأن السبب فى تلف المحرك راجع إلى استعمال زيوت رديئة ورخيصة الثمن فى عملية التزييت، أيضا لعدم التزام إدارة الباخرة بعمل دورات الصيانة والتحديث فى مواقيتها المختصة المحرك التالف قدرت قيمة الإصلاح بمليونى جنيه، ورغم علمه بأن المهندس الأول هو ابن أخيه " حامد "، وأنه يمر بظروف صعبة، فزوجته حامل وهو لا يملك غير راتبه، وتمتم وهو يتنهد فى شماتة :
- فليحصد سفه أبيه .

- ٦ -

وحين يصل التقرير الفنى لمكتب الخبرة إلى شركة التأمين ترفض الإصلاح لأن سبب العطل ناتج عن إهمال الشركة المالكة للباخرة، وحين يبلغه الخبر يصاب بأزمة قلبية، وتنهار حالته الصحية وتزداد سوءا لحظة من بعد لحظة، ولا يجد الأطباء أمامهم حلا سوى سفره للخارج لإجراء جراحة ضخمة، بعد أن تبين لهم سابقة إصابته بأزمات متكررة فى القلب لم يعالج منها العلاج المطلوب .

- ٧ -

وتلد زوجة المهندس الأول طفلا فى المستشفى التى سارع اخوته بدفع تكاليفها، بعد سماعهم بما حدث له؛ أما الملياردير فلقد مات كمدا فور إجراء الجراحة، عندما سمع بالأجر الذى طلبه الأطباء، وبالفاتورة التى طالبته بها المستشفى، وحين بلغ المهندس ما حدث لعمه، قرر أن يحمل الوليد اسم العم الراحل الذى آلت كل ثروته لأبناء أخيه، بعدما نسى الملياردير فى نشوته بجمع المال وتكثيره أن يتزوج، فلقد كان يحسب أن ماله أخلده .

مجلة أكتوبر

همزات

ـ ١ ـ

حين انتهيا من صلاة الظهر تقابلت نظراتهما ثم التقت أيديهما فى سلام حار :

ـ يتقبل الله .

ـ منك ومنا ومن المؤمنين .

قبل أن يترك يده سأله :

ـ ألم نلتق من قبل، اسمى جاد السوهاجى ؟.

رد عليه وهو يفلت يده ببطء :

ـ يراودنى نفس الإحساس، ولكن اسمك هو ما وقف فى طريق سؤالى، فلم يكن لى صديق قط يحمل اسم جاد، على كل اسمى : حامد شاكر .

عادا يتصافحان تأكيدا لتعارفهما، ثم خرجا من المسجد وقد توحدت خطواتهما، متجهين فى طريق واحد، ولهذا تساءل جاد دهشا :

ـ هل تعمل مع المعلم شربينى ؟.

ـ عملى نقاش، وأنت هل تعمل معه أيضا ؟!.

ـ إنه أول يوم عمل لى مع هذا المقاول، ورغم أن عملى بناء، وقد انتهوا من بناء الحوائط، ولكنهم يقولون أنهم سيجرون تعديلات على نظام بعض الشقق، فيهدمون جدران ويقيمون أخرى مكانها .

ـ سبحان الله، أراد لنا أن نلتقى .

ـ وأراد لى أن أعمل وأطعم عيالى، فلى أكثر من أسبوع عاطل بلا عمل .

ـ ألا ما أعظمها حكمتك يا رب .

ـ وما أشملها رحمة، أليس الله هو القائل : رزقكم فى السماء وما توعدون .

سميا اسم الله، ودخلا من باب المبنى متلاصقين، ومنذ ذلك اليوم وجاد وشاكر لا يفترقان فى صلاة ولا فى اجتماع على طعام، وقد عرف كل منهما كل شيء عن الآخر .

ـ ٢ ـ

عن بعد كان ملاحظ العمال يرقب شاكر وجاد وعيناه تفيضان بالكراهية، فهما يقفان ضد مخططاته، فكلما زين للعمال سرقة الخامات التى يوردها المعلم شربينى، بعد أن يقسم لهم أن شربينى لا يهمه ما سيأخذون فى كثير أو قليل، فشربينى يربح من عملهم معه الكثير، كانوا يحضونهم على عدم طاعته، ويخوفونهم من غضب الله، بل كانا يهددان من لا يستمع لنصحهم بإبلاغ الحاج شربينى، ولقد تسلل لمرات عديدة فى غفلة منهما مقتربا يتسمع إليهما وهما يتناجيان، فلم يسمع إلا ذكر وحمد لله، فيسرع مبتعدا وقد ازداد كرهه لهما ولنفسه التى أمرته بأن يقترب، ولكنه سرعان ما كان يعاود المحاولة، فلقد كان يأمل أن يعرف من أسرارهما شيء ييسر له النفوذ إليهما، ويمكنه من كسر حاجز النفور الذى كانا يبديانه تجاهه كلما حاول التقرب إليهما !.

ـ ٣ ـ

وذات يوم دلفت إلى المبنى فتاة جميلة، ملفوفة القوام، جعلت عيون العمال تزيغ عما بين أيديهم وتتشبث بوجهها المليح، فأسرع ليكون أسبقهم إليها؛ سألته مبتسمة وقد لحظت عيونه المتوهجة :

ـ هل يعمل جاد معكم ؟.

قال ينافقها :

ــ هو عمنا وتاج رؤوسنا، هل من خدمة أقضيها لك، فأنا ملاحظ كل أولئك العمال ؟.

وأشار بيده على من حوله متفاخرا، فأخذ العمال يهزون رؤوسهم مصدقين علـى كلامـه، قالت وعيناها تدوران فى تتبع ليده بحثا عن جاد :

ــ لكننى لا أراه بين من يعملون معك ؟!.

قال وهو يتحشرج من الغيظ :

ــ لقد ذهب مع صاحبه إلى المسجد القريب، ليؤديا صلاة العصر .

قالت متعجبة :

ــ وهل يترك عمله ليصلى ؟.

قال فى مرارة :

ــ وحياتك أنا نصحته، فلم ينتصح، ولهذا فأنا أخصم منه كل يوم ربع الأجر، وهو لا يهتم ويصر على أداء الصلاة فى ميقاتها، مع أنه من الممكن أن يؤديها بعد رجوعه إلـى البيـت، وهاك ترين كل العمال يستمعون ويطيعون ما أقوله أنا لهم، فأغرقهم فى المال والمتعة، إلا هو وصاحبه .

قالت غاضبة :

ــ ومن أجل إصراره على رأيه، ورأسه العنيد، لا نستطيع الـزواج حتـى الآن، رغـم خطبتنا منذ أكثر من عامين .

مصمصت شفتيها آسفة، ثم قالت آملة فيه خيرا :

ــ ألا تجد لمشكلتنا حلا ؟.

توهج وابتهج فتمايل فى سرور، وقال يدعوها إلى مكتبه فى لهفة :

ــ أنا عندى ألف حل، ولكن تفضلى لتستريحى .

وسبقها مشيرا فى زهو إلى حجرة تنزوى فى ركن بعيد، واكتشفت بعد أن دخلتها أنها مكان مرحاض لم تكتمل، ورغم هذا لاحظت متأففة أن رائحته كريهة، لكنها تحملت راجية أن تجد عنده حلا يقرب موعد زواجها من جاد الذى تحبه كل الحب، قالت وهى تجلس فـى تخـوف على طرف المقعد :

ــ أليس من الأفضل أن نتحدث فى الخارج وبين العمال حتى لا يظنون بنا سوءا .

ابتلع ما رآه مقاومة لسلطانه وقال :

ــ نفس تفكير جاد، فكر متخلف لا يصح أن يصدر من فتاة فى مثل جمالك .

ــ يا أستاذ الناس لا ترحم .

تراجع عن خطته في إقناعها بالتسليم برأيه، وقال لنفسه : هى سبيله لجاد، ثـم هـى مـع تكرار الهمس ستكون أسهل انقيادا من جاد بكثير، فرك كفيه وألصق فمه بأذنها، فشعرت بأن فمه قد شمل جسدها كله، وراح يقول لها :

ــ استمعى إلى جيدا، إذا أردت أن تحققى مرادك، عليك أن تثيرى غيرة جاد، قـولى لـه أننى قد رأيتك وبهرت بجمالك وعرضت عليك كل ما أملك من مال كثير وذهب فياض، ثـم دعى على أنا الباقى، وسوف ترين ما يسرك ..

فجأة انتفض وسكت عن الكلام، ثم زفر بشدة فهاجت ريح خبيثة تخنق المكان، وهز الفتاة يدفعها خارجا، حتى لا تدرك حقيقة قبحه، وهو يئز :

ــ أسرعى بالخروج، هاهو جاد قد أقبل، ابدئى معه فورا .

ــ ٤ ــ

انتفضت خارجة، وقد شعرت بأنها فتاة غير الفتاة، تقدمت ناحية جاد غير هيابة ولا خافقة القلب، قالت فى لهجة هازئة :

ــ أهلا بخطيبى الذى هو ليس خطيبى .
أذهلت طريقة حديثها جاد، شعر بأن وراء الظاهر خفايا، تساءل دهشا :
ــ ما هذه اللهجة الغريبة عنك ؟!!.
اتجهت متمايلة القد إلى شاكر، فأسرع يتراجع خجلا من جرأتها، لكنها صعقته قائلة :
ــ لا تخف، فلن أأكلك، ولكنى أريدك أن تحكم بيننا، أنا وسى جاد مخطوبين منذ عامين، ولا يريد أن ينهى الخطبة بالزواج، ثم هناك الآن من يريدنى، لقد رآنى الآن فقط، وراح يطاردنى برغبته فى الزواج منى .
تساءل جاد مستنكرا :
ــ ومن هذا الذى يريد أن يغضب الله بالخطبة على خطبة أخيه ؟!.
ــ ملاحظكم وسيدكم، وسيد كل هؤلاء العمال .
قال شاكر غاضبا، وقد اشتد احمرار وجهه :
ــ لعنة الله عليه، لا يحب لنا الخير أبدا، يا ابنتى اصبرى، وسوف يأتى الله بالفرج .
قالت فى جرأة :
ــ هو أسبوع واحد يا جاد، وكل منا يبحث عن طريق خلاصه .
وانتفضت تسير مبتعدة وقد تركت كل قطعة من جسدها تتمايل بحرية، فراحت عيون العمال تلاحقها فى نهم، حتى أن أحدهم قد سقط من فوق الحامل وكسرت ساقه !!.

ــ ٥ ــ

ذهب جاد إليه غاضبا، وكان هو ينتظره واثقا من حتمية قدومه إليه، ولذلك سبقه بالكلمات التى نمقها، قبل أن يحرك جاد لسانه بكلمة واحدة :
ــ اجلس يا أسطى جاد، أعرف أنك غاضب من خطيبتك، ولكن لو أنك تأملت الأمر بحكمة، لوجدت أن معها كل الحق فى لومك على تقصيرك فى أمر الإسراع بالزواج منها، تعرف أنه كلما طالت فترة الخطبة زادت المشاكل بين الخطيبين، خاصة وأنك لا تخرج بها إلى الخلاء ولا تغازلها، وإذا ما كان الأمر كذلك، فأسرع بزواجها .
قال جاد وقد أخذ بمنطقه :
ــ أتزوجها، من أين لى بالمال ؟!!.
قال بجدية كاملة :
ــ أنت من يقول هذا، الأسطى جاد الذى يوزن عمله بالذهب، وعقله بالمجوهرات، يا رجل لا تقل هذا فأنت تستطيع أن تكسب الملايين ولكنك لا تفعلا .
ــ أنا ؟!!.
قال وهو يدفعه إلى الخارج :
ــ اذهب الآن إلى عملك وعد إلى عند وفود الظلام .
قال جاد مندهشا :
ــ وهل سأجدك هنا ؟!!.
ــ أنا لا أغادر مكانى إلا للضرورة فقط .

ــ ٦ ــ

بعد أن صلى العشاء، شق طريقه إلى موقع البناء، وكان كلما اقترب كلما اشتد الظلام، حتى لم يعد يرى كف يده، توقف فى رعب، لكن صوته جاء من قرب يفح :
ــ اتبع صوتى وسوف تصل .
أراد أن يستعيذ بالله من الشيطان، لكن الصوت كان يملأ عليه المكان، قائلا :
ــ تقدم، تقدم، لا تخف ..

حين ولج إلى المرحاض، كانت الريح النتنة قد اشتدت وسيطرت على جو البناء، حاول أن يستدير عائدا، لكن يده أمسكت به، وجاءه صوته رخيما يقول:
ــ ألا تريد أن تمتلك الدنيا ؟!!.
قال رغم إرادته :
ــ يا ليت: أرشدنى .
ــ إذن قل أننى مرشدك، قل بثقة وبلا تردد، قل، قل ..
قال كالمنوم :
ــ أنت مرشدى ..
ــ بل قل الأفضل مما قلت، قل أننى شريكك، نادنى يا شريكى .
همس :
ــ يا شريكى .
ــ بل أصرخ بها أريد للدنيا كلها أن تعرف أننا أصبحنا شريكين .
راح جاد يصرخ بالكلمة مترددا فى البداية ثم منتعشا وسعيدا، وقد تحولت الريح النتنة فى أنفه إلى عطر خلاب، حين إذ قال له :
ــ اركع واستمع إلى .
أرعدت السماء، استيقظ النائم صارخا يقول :
ــ أنا لا أركع أو أسجد إلا لله .
انتفض هو فى رعب، فح معتذرا وقد أخذ يمسح على جسد جاد ليهدئه، وقد استشعر الخطر، وأن كل شىء يوشك على أن يضيع :
ــ أسف يا ولدى، لقد خاننى التعبير، لم أكن أعنى غير أن تجلس أمامى مسترخيا لأشرح لك ما سوف تفعله، ألا تدرك أن المال سوف يتساقط من حولك، وسوف تكون خطيبتك فى أحضانك طيعة لينة، فالمرأة لا يرضيها غير الذهب والحرير، اهدأ واستمع إلى ..

ــ ٧ ــ

تردد جاد كثيرا قبل أن يفتح باب الحديث مع شاكر، فلقد كان يخاف أن يخذله أو يفضح سره، لذلك قرر أن يلتف حول الهدف، أليست النتيجة هى الوصول إلى المراد، هكذا علمه ملاحظ العمال :
ــ اسمع يا صديق عمرى الوحيد، وسندى فى دنياى، لقد قررت أن احسم الأمر مع أهل خطيبتى، وسوف أذهب إليهم الليلة، ولكنى أخاف منهم فلها أخ شرير، وقد يحيك لى أمرا ينتهى بى إلى السجن، ولذلك أريد أن أحتاط، فأعطيك إثبات شخصيتى لتضع عليه صورتك مكان صورتى، ولتذهب فى العاشرة مساء إلى الشرطة لتحرر محضرا بسرقة حافظتك حتى إذا ما أراد أخوها أن يكيد لى حتى يضيعنى، استطعت أن أبرئ نفسى .
انتفض شاكر مروعا، وقال مستنكرا :
ــ أعوذ بالله، إنها لفكرة شيطانية .
قال جاد مهونا عليه الأمر :
ــ وكيف لك أن تواجه إبليس إلا بفكر مثل فكره ؟.
قال شاكر فى حماس :
ــ بدلا من المخاطر والالتفاف وعدم المواجهة، لماذا لا أصحبك إليهم، وأقرب بينكم، فالزواج نسب ومصاهرة وتواد وتراحم، وليس حربا .
قال جاد متصنعا الأسى :
ــ إننى لا أريد أن أجعلك تواجه الشر، ولو كانت هناك جدوى من الوساطة والتحكيم، لكنت أنت الوحيد الذى أثق فيه وفى وساطته، ولكنهم كما قلت لك ناس أشرار، وعلى كل حال

يا صديقى الوحيد إن لم تكن تريد أن تحافظ على صديقك، وتقدم إليه هذه الخدمة البسيطة، فقل لن أفعل، وهو خيارك، وهى إرادتك .

وسحت دمعة من عين جاد، وتأثر شاكر فساحت نفسه الطيبة بالشفقة على صديقه، واستجاب لطلبه، وهو يتمتم مستغفرا الله لذنبه الذى سيرتكبه .

ـ ٨ ـ

فى تمام العاشرة ..

شق شاكر طريقه إلى مقر للشرطة بعيد عن سكنه، كما أوصاه جاد، حتى لا يتعرف عليه أحد .

وتسلق جاد فى خفة نافذة بأعلى جدار محل المجوهرات، لينفذ كل ما لقنه له ملاحظ العمال، ليجد نفسه داخلا وليس بالمحل غير وميض كشاف صغير ثبت بأعلى الجدار، ولقد نصح بالابتعاد عن ضوئه حتى لا تدق أجراس الإنذار، بينما أخذت الماسات تبرق فى الفاترينات من حوله، فأطفأ نوره بقطعة سميكة من القماش، ثم راح يجرد الفاترينات مما بها من ذهب ومجوهرات، وخرج سريعا من حيث دخل، منتشيا من تحقق الثراء له فى دقائق معدودة؛ بينما خرج شاكر مكتئبا من مقر الشرطة، وهو يستغفر ربه، غير راض عما ارتكبه من إثم بسبب صديقه .

ـ ٩ ـ

فى الصباح

وقف جاد بين يدى ملاحظ العمال يقص عليه ما تم، وحين سأله عن مكان المجوهرات، قال له ماخرا :

ـ وراءك فى طارد مياه المرحاض .

انتفض هلعا، ودون أن يشعر لطمه على وجهه، وهو يفح :

ـ يا غبى أتريد أن توجه إلى الاتهام ؟!!.

ـ ألست أنت من خطط، ألست أنت من قال أنك دبرت لكل ما يحدث من سرقات وجرائم محكمة تحدث كل يوم بل وكل لحظة، فلماذا تخاف من الحفاظ على نتاج فكرك ؟!!.

ـ ألم أقل لك منذ البداية، انك فقير لأنك غبى، اسمع .. بعد انصراف العمال عليك أن تأخذ ما سرقت بيديك بعيدا عنى، أو سأنادى الآن على أى واحد من عمالى ليأخذها لنفسه .

انتفض جاد فى جزع، وقال :

ـ كلا أرجوك إنها ملكى أنا، وسأنفذ أوامرك .

كان شاكر يرقب تهامسهما من موقعه فى الغرفة التى يبنى حوائطها، وكان يعجب من هذا التقارب المفاجئ بينهما، ولكنه انتبه إلى أن جاد لم يعد يصحبه منذ أمس للصلاة فى المسجد، بل لقد تحدث إليه حين تقابلا وأخذ منه إثبات الشخصية، طالبا منه أن يستمرا فى العمل، ولا يتركانه للصلاة حفاظا على الأجر الذى يخصم منهما، وهنا أدرك شاكر أنه ليس مستغربا أن يكون جاد قد تحول عن صداقته، وأصبح شريكا لملاحظ العمال .

ـ ١٠ ـ

فى اليوم التالى تفقد الحاج شربينى المبنى، وحين انتهى من تفقد المكان، طلب من شاكر أن يفتح نافذة بالمرحاض، حتى يمكن تجديد هوائه، وحين ذهب لينفذ ما أمر به الحاج شربينى، فوجئ بجاد يخرج لفافة كبيرة من طارد المياه، وحين انتبه إلى كونه قد رآه، ارتبك واندفع خارجا، ولما نظر شاكر فى قاع طارد المياه الفارغ بهر بصره بريق ماسة استقرت فى القاع، فالتقطها ووضعها فى جيبه، واستغرق فى فتح النافذة، وتعديل البناء، وبعد لحظات سمع العمال المجاورين يلغطون بالحديث عن اللص البارع الذى كتبت الصحف عن تسلله مساء أمس إلى أكبر متجر للمجوهرات بالمدينة، وسرقته ذهب وحلى تزيد قيمتها عن المليون جنيه،

وتوهج فكر شاكر وراح يربط بين ما سقط من جاد، وبين ما طلبه منه بــالأمس، والتوقيــت الذى تم فيه، وكيف انه نفس توقيت السرقة، وهمس لنفسه فى مرارة : لقد ضيع صديقى جاد نفسه، واختار أسوء قرين .

ـــ ١١ ـــ

حين انتهى شاكر من العمل، لم يتوجه إلى بيته، بل اتجه إلى مقر الشرطة، وأبلغ عما تــم فى مساء الأمس، ثم قدم الماسة وتحدث عن مخاوفه من أن يكون صديقه جاد هو السارق .

مع انبثاق النور، تحركت قوات من الشرطة ومعهم شاكر يرشدهم إلى موقع العمل، وبدأت عملية التفتيش عن مكان المجوهرات، وحين ظهر ملاحظ العمال، قال لشاكر، وهو لا يستطيع أن يخفى نبرة التشفى من صوته :

ـــ هل كشفت الشرطة أنك سارق أيها المصلى .

قال له :

ـــ بل لقد أبلغتهم بما حدث .

انتفض ملاحظ العمال من الغيظ، وراح يفح فى أذن شاكر كالمجنون :

ـــ هل تتصور أننى سوف أفلتك، بل إن دورك آت لا محالة .

ثم صرخ حين رأى الجنود مقبلين وهم يسوقون جاد، وقد تعلقت خطيبته بثيابه وهى تصك خديها :

ـــ هذا هو اللص، لقد رأيته يخفى المسروقات فى حجرة بالدور العلوى .

وصرخ فيه جاد :

ـــ إنك تعرف لأننا شريكان .

رد وهو يصفعه على وجهه :

ـــ بل أنت اللص، فأنا لم أرك من قبل، وليس لى من سلطان عليك .

أطل العمال من كل أدوار البناء، وأخذوا فى التهليل مؤكدين :

ـــ جاد هو اللص، الملاحظ لا يعرفه ..

وفى نعومة، تقدم ملاحظ العمال من خطيبة جاد يجذبها إليه قائلا :

ـــ دعك منه، فأمامه سنوات طوال سيقضيها سجينا، وحرام أن تضيعى شبابك فى انتظار فاشل مثله، تعالى معى وسوف أمتعك وأعوضك وأسعد دنياك، وثقى من أننى سأجعلك أشـــهر راقصة فى الدنيا .

تمايلت الفتاة فى نشوة وهى تسحب أصابعها من على ثياب جاد، وابتعدت عنه، وهنا رأى جاد ملاحظ العمال مجردا من زينته، فصرخ فى شاكر محذرا :

ـــ انتبه يا صديقى، إنه هو، فلا تكن مثلى نسيا، فتتخذه وليا .

.. تصاعد صوت المؤذن يعلم عن إقامة صلاة الفجر، وقال شاكر لجاد :

ـــ لأنك نسيت أن تقول : اللهم إنى أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربـــى أن يحضرون .

.. ثم انسحب متجها إلى المسجد، بينما سارت الفتاة متمايلة بين يدى ملاحظ العمال، وسار جاد إلى عربة الشرطة لتحمله إلى السجن .

مجلة أكتوبر

أصول اللعبة

- ١ -

حين جاءهم به السلكاوى، قدمه قائلا :
ـ سعيد مباهى، زميل جديد، سوف يعمل مساعدا لى بجهاز السيد رئيس مجلس إدارة المؤسسة .
قال الثلاثة فى نفس واحد :
- بلا مكتب، وبلا قرار تعيين .
أسرع السلكاوى بالرد ساخرا :
- بالقطع بلا مكتب، وبلا تعيين، وهل عينت أنا بعد أن خدمت عهدين من قيادات الشركة؟!!.. بارك الله فيكم، فأنتم أهل الثقة والتعيين !.
ثم استطرد قائلا فى لهجة يشوبها التحذير:
- فقط كل ما أطلبه، أن تتسلموا منه الرسائل الخاصة بالرئيس، لتوصلوها بلا تدخل منكم .
وما إن انتهى السلكاوى من كلامه، حتى جذب مباهى من ذراعه منصرفا، فأوشك أن يوقعه على الأرض الزلقة من كثرة التنظيف، فلقد كان مباهى يقف مشدوها، مستغرقا فى مراقبة ما يحدث حوله، ولهذا كانت الجذبة كالصفعة المدوية فى إفاقته، فانطلق خلف سلكاوى خارجا من الحجرة الضخمة الفخمة، إلى البهو الكبير، وهو يتلفت حوله، يتطلع
إلى كل شىء فى نهم من يريد أن يطبع صورة كل شىء فى ذاكرته، وإن ملأه إحساس بأنه داخل فخ لن يغادره أبدا، وعاهد نفسه على أن لا يدخله مرة أخرى .
.. كان السلكاوى كلما مر بجماعة من الحراس أو الخدم حيوه فى مودة، وكان السلكاوى يرد عليهم بأحسن مما حيوه به، كان واضحا للمباهى أن السلكاوى يحظى بحب البسطاء من العاملين بالمؤسسة، فى حين ظهر له منذ اللحظة الأولى، مدى كره كبار العاملين لسلكاوى، من خلال كلمات النفاق والغمز واللمز فى ثنايا الحديث، خاصة وأن كلمات المجاملة التى قيلت له، لا تتفق وبريق الكراهية الذى كانت تشى به العيون!!.

- ٢ -

خلا المكتب من سلكاوى والفتى الجديد، تبادلوا نظرات خاطفة، ثم أسرعوا فى صمت تاركين مكاتبهم، واجتمعوا فى الصالون الملحق بالمكتب، لينعقد فى لحظة مجلس الثلاثة، همس أكبرهم سنا :
ـ يبدو أن الرجل الكبير قد طلب منه بصاصا جديدا، ليحصى على رؤساء الشركات خطواتهم، وعلى العاملين أنفاسهم !!.
أضاف الخبيث مصححا يقول :
- أو ليكون عينا على سلكاوى نفسه، فيعرف مدى صدق أو كذب ما يكتب إليه من تقارير !!.
ارتعد الساكت، فتح فمه ليتكلم، ولكن كبيرهم أسكته بإشارة من يده، وقال آمرا وهو ينهض واقفا :
- ولا كلمة، نجتمع الليلة فى مكاننا المعتاد .
.. ثم انصرف مسرعا إلى مكتبه، وهم من ورائه .

- ٣ -

كان سعيد مباهى يلهث وهو يسرع ملاحقا خطوات السلكاوى فى قفزات متعثرة، وما أن لمح سيارة السلكاوى حتى أسرع يفتح بابها ويدلف إلى مقعدها الأمامى، ويغلق الباب من ورائه بسرعة، وأنفاسه تتابع لاهثة، وهو يحاول جاهدا أن يسيطر عليها، غير مصدق أنه قد أفلت من قبضة الأمن، وفخ المبنى الضخم، وعاد مرة ثانية إلى الطريق؛ وبعد لحظات خالها سنين، فتح السلكاوى باب السيارة، وجلس إلى مقعد القيادة، وانطلق بها غير مهتم بوجوده، لكنه استدار إليه فجأة غير آبه بالسيارات التى تحيطه من كل جانب، وقال فى يقين، وكأنه قد قرأ كل ما يعتمل داخل نفسه :

- سوف تعتاد على كل هذه الشكليات، هكذا كان انطباعى عندما دخلت المبنى للمرة الأولى، قلت إننى لن أخرج منه، وإذا خرجت فلن أعود لأدخله مرة أخرى، و ..

توقف السلكاوى عن الاستطراد، والتمعت عيناه، وقد تركزت نظراته على السيارات التى تسبقه للحظات، ثم استطرد قائلا :

- سوف نتمكن معا من كسر طوق الشياطين من حول الرئيس، فهو طيب، يحب عمله ومؤسسته، لكنهم ملاعين يحولون بينه وبين الحقيقة، فهم يجعلون مصالحهم فوق كل المصالح .

.. ثم ضغط السلكاوى بقدمه فى عنف على بدال السرعة، فانطلقت السيارة مندفعة تزمجر فى جنون بين السيارات المتلاصقة تحاورهم، فيسارع سائقوها يفسحون لها مكانا ليبتعدوا عن أذاها، وأصبح لا يسمع من حولهم غير صرخات الفرامل، والأصوات الصاخبة بكلمات الغضب .

- ٤ -

.. فى المساء، جلسوا فى المقهى المطل على المدينة من أعلى ربوة فيها، وقد تقاربت رؤوسهم، وأفرغ الساكت ما ابتلعه فى المكتب، وتساءل فى قلق :

- ترى هل سيظل الوافد الجديد فى حدود أيدينا، أم سيخرج منا كما فعل السلكاوى من قبل ؟!.

قال كبيرهم :

- لو تخلصنا من السلكاوى، سنتمكن من عدم تكرار خطأنا السابق، ونعود للسيطرة على التقارير كما تعودنا، وسيكون الولد الجديد تحت ضروسنا .

قال الخبيث :

- إذا علينا أن نسرع بالتخلص من السلكاوى .

لمعت العيون بالفرحة، وتساءل الكبير والساكت فى نفس واحد :

- وهل هذا ممكن ؟!!.

قال الخبيث :

- سعيد مباهى جديد، لا يعرف أصول اللعبة، هو متوهج لإثبات ذاته، وعلينا أن نسرع بالتقرب إليه واحتوائه، وحين نفعل ذلك، ثقوا من أنه سيصبح اليد التى نبطش بها بالسلكاوى، ودعوا الأمر جميعه لى، أتوافقان ؟!!.

صاحا فى نشوة :

- وهل هناك شك فى هذا، بالطبع نوافق .

- ٥ -

ذكر مباهى اسمه لحارس الباب الرئيسى، طالبا الإذن له بالدخول لمقابلة مدير مكتب رئيس المؤسسة، رفع الحارس سماعة الهاتف المعلق بجانبه، وأخذ يدير القرص، ثم يتحدث فى أدب

جم لمن رد عليه مبلغا طلب مباهى، بينما جسد مباهى يرتعد من شدة الخوف، و حبات العرق تتساقط على وجهه، وقد راح يلوم نفسه على موافقته على العمل مع السلكاوى، فلقد حذره شقيقه الأكبر وقال له إنه طريق محفوف بالمخاطر، وأن من ربوا على دين أبيهم بصالحين لهذه الأعمال، لكنه لم يستمع إليه، فهو يتعجل أن يصبح فردا مرموقا فى المجتمع، وهذا هو أرقى موقع يمكن أن يتألق من خلاله، ولكن ما أبشعه طريق !.

.. انتبه على كلمات الحارس، فلم يفهم منها شيئا، وإن طمأنته الابتسامة التى ارتسمت على وجهه مكان الجهامة التى قابله بها، وعندما أدرك الكلمات، كان يقول :

- إنه المكتب الثامن على اليسار، هل أرسل معك من يرشدك ؟!!.

رد مباهى مفاخرا :

- شكرا لقد كنت هنا أول أمس فى صحبة الأستاذ السلكاوى .

ابتسم الحارس وهو يفسح له الطريق لينفذ إلى الداخل، وقال :

- أهلا بسلكاوى بك وبضيوفه أيضا .

شق مباهى طريقه وسط البهو فى تردد، وقد راح يمنى نفسه بأن يخرج سعادة رئيس مجلس الإدارة فجأة من أحد الأبواب الضخمة ذات المقابض الذهبية، فيسرع إليه، يحتضنه ويقبله، ولكن تساؤلا أوقف شريط الأمنيات : ترى هل سيعرفه الرئيس، وهل حدثه السلكاوى عنه، كما ذكر له ؟!!.

.. هز رأسه طاردا هواجسه، وتمتم: سواء عرفنى، أم لم يعرفنى، فسوف أرتمى على جسده، أقبله، وأعبر له عن مشاعر الحب التى تراكمت بداخلى نتيجة ما عرفت عنه من طيبة وكرم أخلاق وتفان فى خدمة المتعاملين مع شركات مؤسسته، وسوف أقول له: اسمح لى أن يكون لى شرف العمل خادما مخلصا لك، ردا لبعض فضلك على الجميع.

أفاق على صوت خطوات تلاحقه، استدار وراءه، وجده أحد رجال الأمن، أشار رجل الأمن إلى باب فى الخلف، ونبهه محذرا :

- لقد تجاوزت باب حجرة مدير مكتب الرئيس.

اعتذر رافعا يديه وضاربا بها فخذيه فى خجلن قائلا :

- أسف جدا، إنه الانبهار بروعة المكان .

لكن الرجل لم يقبل اعتذاره، وقال متجهما :

- أعرف أنك حديث عهد بالمكان، ولكن التجاوز هنا غير مسموح به، إن كنت ضعيف الذاكرة، فاستعن بواحد منا يرشدك .

كرر اعتذاره، واستدار عائدا، ليدق على خشب الباب بلطف، ثم يدخل وهو يتوقع أن يقابل من الموجودين بتجاهل، كما تنبأ السلكاوى، ولكنه فوجئ بالخبيث يبتسم وهو يسأله :

- هل تريد أن تسلم شيئا يخص السيد رئيس مجلس الإدارة ؟.

ابتلع مباهى المفاجأة، وتبسم فى مودة، قائلا :

- نعم، لو تكرمت، فهذه رسالة من السلكاوى بك، هاك هى .

تناول الخبيث المظروف المغلق بإحكام شديد، وهو يقول :

- العفو يا سيد مباهى، إنه عملى، ونحن هنا فى خدمة السيد رئيس مجلس الإدارة .

وحين استدار مباهى ليخرج، لحق به صوت الخبيث، متسائلا :

- هل ذكر لك السلكاوى، أنه يريد تسليم تقريره مغلقا ؟!!.

توقف، ورد مؤكدا فى رجاء :

- لو تكرمت، فهذه هى تعليمات سيادته .

.. ثم عاود السير، ولكن لحقت به كلمات الخبيث كخنجر مخترقا قلبه :

- وهل جاء بك السلكاوى لتعمل ساعى بريد، أين تقريرك أنت .

رد ثائرا لكرامته :
- إن أكثر من نصف معلومات السلكاوى يستقيها منى أنا .
عقب الخبيث متسائلا :
- إذا لماذا لا تكتب ما تعرف بنفسك، حتى يتعرف الرجل على قدراتك، أم تراك تود أن تظل متعلقا فى ذيل غيرك ؟!!.

- ٦ -

حين سار مباهى داخل الطرقة الضخمة، عاوده نفس الشعور الذى طارده من قبل، من كونه فى فخ، وأنه لن يخرج من هذا المبنى، وسوف يحتجز بداخله، ولن يرى أولاده ولا زوجته، ولا أحباؤه وأهله؛ فأخذ يلوم نفسه، على تورطه فى مثل هذه الأمور، لاعنا اللحظة التى تعرف فيها على السلكاوى، وقد بدت له الطرقة ممتدة بلا نهاية، وإن راح يطمئن نفسه بحسن استقبال الخبيث له، وهنا تراجعت كل مخاوفه، وتمتم لنفسه مفاخرا :
- لابد وأن سيادة الرئيس قد أوصاهم بى خيرا، فأنا أختلف كليا عن السلكاوى، وليس من طبعى أن أكون فظا غليظ القلب، كما وأننى لى أصول أسرية ضخمة، وابن رجل صالح طيب، ولست نبتا شيطانيا، أفرزته عوامل اجتماعية، وتعقيدات استثنائية لا تخضع لقيم أو لعلم، مثل السلكاوى !!.
.. استغرقته أفكاره، فلم يدر بأنه قد غادر المبنى، ويسير فى الطريق العام، إلا حين اصطدم بأحد المارة، فزام صارخا :
- أنظر أمامك يا أعمى .
لم يغضب، بل أسعدته الكلمات، فلقد تأكد أنه قد خرج من الفخ، نادى على تاكسى، وقفز بداخله، واخبر السائق بعنوان بيته، ثم تكوم فى المقعد الكبير يحلق فى عالم من الخيالات المبهجة .
قبل زوجته حين صادفته فى مدخل البيت، دار على ولديه وابنته يقبلهم، ثم انتحى بزوجته جانبا، وراح يقص عليها مباهيا؛ كيف التقى بالرئيس، وكيف تحدث إليه، وكيف اكتشف أن الرئيس يعرف عنه كل دقائق حياته، وأنه يعرف بعمله فى تصدير الخضر والفاكهة إلى الخارج، ويعرف حتى بزيجاته، وكيف فشل فى زواجه الأول، ونجاحه فى زواجه الثانية :
- حتى اسمك يعرفه، وأيضا يعرف أسماء الأولاد، رجل عظيم حقا .
ثم نهض كالنائم، متجها إلى غرفته، دون أن يقول لزوجته وعياله، كما اعتاد :
- تصبحون على خير .
فلقد استغرق فى أحلامه الوردية، فها هو ذا أخيرا يلتقى بالرجل الذى أحبه، وها هو ذا يستطيع أن يكاتبه، بل وأن يراه، ويجلس إليه ليبين له الحقائق الغائبة عنه، وينقل إليه أفراح وأحزان المتعاملين مع شركات مؤسسته، ويكشف له الخونة والمرتشين، فيسارع الرئيس إلى إعلانه رئيسا للرقابة والمتابعة؛ وحين شعر بخدر النوم، تنهد فى سعادة قائلا :
- كم أنا مدين لك يا سلكاوى .

- ٧ -

قال له السلكاوى معاتبا :
- لقد بلغنى أنك قد سلمت بالأمس تقريرا لمكتب الرئيس !! .
هز رأسه عاجبا، وقال :
- وماذا فى تسليمى تقريرا، لقد طلب منى أن أقدم معلوماتى الخاصة، ففعلت ؟!! .
قال السلكاوى فى غضب، وهو يستشعر الخطر :

- ما فى هذا يا سعيد مباهى أنك غشيم، وقد تكتب ما يغضب الرجل منى .
- منك أنت، وهل أنت من كتب ؟!!. .
- نعم، لأنك محسوب على، بسيئاتك وحسناتك .
- إذا، ماذا كان على أن أفعل ؟!.
- تطلعنى على كل كلمة قبل أن تسلمها لمكتب الرجل .
- لك هذا .

.. وحين انصرف السلكاوى ، وخلا مباهى بنفسه، قال متنهدا : لقد بدأت الغيرة تأكل قلب السلكاوى .

وحين أدار شريط الحوار مستعيدا ما حدث، انتابه غضب شديد، ولام نفسه لأنه سمح لسلكاوى أن يتعامل معه بمثل هذا الأسلوب، وتصاعد غضبه فلم يعد يحتمل الانتظار حتى يذهب إليهم .

.. رفع سماعة الهاتف، طلب مكتب الرئيس، ولم يستطيع أن يخفى نبرة الغضب من صوته، وهو يتساءل :

- هل من الضرورى أن أستأذن سلكاوى فيما أكتب، وأقرئه تقاريرى قبل أن أسلمها إلى سعادتكم ؟!.

قال الخبيث، وهو يفرك يديه فى سرور :

- بالعكس، إن الرئيس يغضب جدا إذا عرف أن هناك من يقرأ الكلمات التى ترسل إليه، هات لنا بكل ما تريد مباشرة، ولا تهتم بذلك الحقود ، ولا تخطره بما تفعل، ومرحبا بك .

اغلق الخبيث بوق الديكتافون، واستدار قائلا :

- هل سمعتما، لقد اشتعلت نار الحرب بين السلكاوى وسعيد مباهى، أسرع مما كنا نتوقع .

قال الكبير :

- إذا نسرع بالتخلص من السلكاوى، فالرجل اصبح يثق فيه أكثر منا، حتى أصبحنا محاصرين به فى كل تحركاتنا، كما وأنه أصبح يتجسس علينا، واه عيون ترصد زوارنا .

قال الساكت فى غضب :

- لقد عطل مصالحنا، وكبل أيدينا، الله يوقف حاله .

- ٨ -

وقف سعيد مباهى أمام الخبيث بتقريره الجديد، قال له مشيرا إلى أقرب المقاعد إليه :

- ألا تجلس .

ولما لمح الخبيث علامات التردد على وجه مباهى، تبسم له وقال مشجعا :

- يا رجل لقد أصبحت واحدا منا، اجلس يا مباهى بك، فأنت فى مكتبك .

جلس المباهى و السعادة تغمره ، و هو يقول لنفسه : لابد و إن الرئيس زجرهم على عدم احترامهم لى، فى زيارتى السابقة، وأمرهم بأن يحسنوا معاملتى، فأنا شىء آخر غير السلكاوى .

قال الخبيث وهو يرمق الساكت من طرف خفى :

- قل له يا أستاذ كم يحبه الرئيس ويوصينا به خيرا .

قال الساكت مؤكدا :

- وهل يحتاج الأمر إلى إيضاح، إن الرئيس دائما يوصينا بك خيرا، ويقول لنا افعلوا ما شئتم، ولكن لا تمسوا سعيد مباهى، لا يمسه أحد فهو فى حكم أولادى .

انتفخت أوداج مباهى فخرا، وانفرد جسده يملأ المقعد، فلقد تأكد ظنه، وقال :

- أسأل الله أن يجعلنى على قدر محبة سعادته، وأن أكون دائما فى خدمته .

قال الخبيث يستحثه :
ـ اذكر لهما ما قاله لك سلكاوى حين سلمتنا تقريرك السابق .
.. قص عليهم ما حدث، ثم أضاف مبالغا، فذكر لهم انه ثار ومار فى وجه السلكاوى، وهدده بأوخم العواقب إذا تجرا على توبيخه مرة ثانية، قال الكبير :
ـ لابد وان يحاط الرئيس بفعلة السلكاوى هذه .
أكد الخبيث قائلا :
ـ انه بسلوكه ذاك يريد أن يجعل من نفسه رقيبا على الرئيس، وهو أكثر شىء يغضبه .
قال الساكت :
ـ ولماذا نستغرب هذا التصرف من السلكاوى، خاصة وأن مباهى بك لابد وأنه يعرف مصدره الخوف منك، فهو يعرف أنك بالقطع تدرك مفاسده، واستغلاله لعلاقته بالسيد رئيس مجلس الإدارة .
صاح مباهى وقد أخذته المفاجأة :
ـ يا للمصيبة، إذا فالمزرعة التى تملكها أخيرا، والشقة الرائعة ..
اكمل الخبيث :
ـ كلها وحياتك حازها باستغلاله لاسم الرجل النظيف، لدى رؤساء الشركات !! .
ضرب مباهى كفا بكف، وقال :
ـ مصيبة والله مصيبة، وأنا من كنت أظن أن السلكاوى هو من انظف خلق الله .
قال الخبيث :
ـ الكارثة تكمن فى أننا لا نستطيع أن نبلغ الرجل بكل هذه المصائب، حتى لا يظن إننا نريد التخلص من السلكاوى !! .
نهض مباهى منتفشا وهو يضرب على عضديه، ويقول :
ـ إذا أعطونى مهلة أسبوعا، وسوف آتى الرئيس بكل تجاوزات السلكاوى؛ اطمئنوا ودعوا الأمر لى، فلقد وضع السلكاوى الرجل الخطأ فى طريقه، وسوف تكون نهايته على يدى هاتين .

ـ ٩ ـ

ثلاث ليال متوالية لم يغمض فيها للمباهى جفن، كان يتحرك فى دائرة السلكاوى بهمة، يسأل بدأب كل أعدائه، حتى جمع مئات الخطايا والأخطاء التى تلوثه، ثم جلس يصوغها فى تقرير مطول، فلقد شعر إنها فرصته ليثبت للرئيس أنه يحبه، وأنه يضحى بأعز الأصدقاء، بل وبأستاذه السلكاوى، إذا ما مثل أية خطورة على الرئيس، أيضا وجدها فرصة لينفرد هو بمحبة الرئيس، ولابد وأنه سيطلب لقائه فور قراءته لكل تلك الأوراق والمستندات، لينصبه خليفة لسلكاوى .
.. لم يطق أن ينام، حمل أوراقه وذهب إليهم، وهو يمنى النفس بان يراه الرئيس فى حال الإرهاق التى هو عليها، ولابد وأن الرئيس سائله لا محالة : ما بالك مرهق هكذا يا مباهى ؟، وهنا سيرد عليه بكل مشاعره، وبلا تردد: العمر يهون فداءك يا رئيس !! .
قطع الممر متباطئا، وعيناه المرهقتان تدوران فى كل ركن باحثة عن وجه الرئيس الذى لم يره سوى فى الصحف، وبعض اللقاءات التليفزيونية، حتى وصل إلى حجرتهم ولم يره، دخل المكتب واضعا كومة الملفات أمام الخبيث، الذى استقبل ما يرى فى دهشة، قائلا :
ـ ما كل هذه الأوراق ؟!!.
قال مباهى ونبرة الفخر تشع من كل نغمة تصدر عن حنجرته :
ـ إنها تجاوزات السلكاوى، مسجلة باليوم والثانية، ومدعمة بالوثائق ..
.. والتمعت نظرات الكبير فى انتصار، وهب واقفا، وقال :

- والله انك لرجل، والرجال قليلون .
- هل سيسر الرئيس بجهدى هذا ؟!! .
- وأى سرور، اجلس يا رجل، أم ترانى ناصحك بان تعود إلى منزلك لتنام مطمئنا، فنحن نهتم بسلامتك الصحية كل الاهتمام، وثق انك ستصحو على صوت السيد الرئيس يهنئك على هذا الجهد الرائع .

.. اخذ مباهى بالنصيحة وانصرف، فلقد كان يكاد يسقط من فرط الإرهاق، وأسرع الساكت والخبيث يقفان عن يسار ويمين الكبير، وراحوا جميعا يتسابقون فى تفحص الأوراق الصفحات التى سودها مباهى وتلخيصها، ثم حملها الكبير إلى ملف العرض، ووضعها على قمة الأوراق، لتكون أول ما تقع عليه عينا الرئيس، بعد إن ذيلت بكلمات تقول : " هذا جهد مخلص بسيط من جهاز مكتبك ، لتظل مؤسستكم محافظة على طهارة
أعمالها، وطهارة العاملين فيها فى ظل قيادتكم النزيهة ". !!.

- ١٠ -

.. لم ينم سعيد مباهى كما طلب منه الكبير، ولكنه راح يتقلب فى فراشه، وأذناه معلقتان بصوت الهاتف، منتظرا استدعاء الرئيس له، ولكن الساعات مرت والحزن تراكم مع صمت الهاتف، ولم يجد مباهى حلا ليطرد أحزانه غير الاستسلام للنوم، فلابد وان المشاغل تحيط بالرئيس، و أنه باليقين قد صدم مما عرف عن السلكاوى، تمتم مواسيا :
- كان الله فى عونك يا رئيس .

.. كعادته كلما استيقظ من النوم، مد أصابعه يتحسس أزرار المذياع الملاصق لفراشه وفتحه، فوجئ بمذيع النشرة المحلية يعلن عن اكتشاف شبكة للاستيلاء على المال العام، وأنه تقرر إحالة السلكاوى إلى النيابة بعد القبض عليه، نتيجة للتحريات التى تابعها مكتب رئيس مجلس إدارة المؤسسة .

انتفض مذهولا مما سمع، قال لنفسه والغضب يجعله يرتعد بشدة :
- لقد نسبوا الأمر جميعه لأنفسهم، وأخفوا عن الرئيس جهدى وعرقى !! .
أسرع يرتدى ملابسه، ويشق طريقه خارجا، بلا تحية لزوجته ولا لأبنائه .

- ١١ -

ولشدة غضبه لم يشعر أنه قد وصل إلى هدفه، وأنه يقف مبحلقا يصرخ فى وجه الخبيث، قائلا :
- أهكذا تبتلعون جهدى، وتسفحون دمى ؟!! .
قال الكبير فى دهاء :
- اهدأ يا سيد مباهى، تعال .. اجلس أمامى هنا .
سار مستسلما، وجلس فى مواجهة الكبير وهو يفرك كفيه غاضبا، قال الكبير بهدوء :
- يا سيد سعيد، إنك جديد على مؤسستنا هذه، فهل ترانا كنا كاشفين أمرك لرؤساء الشركات بإفشاء اسمك فى التحقيقات، فنجعل الجميع يأخذون حذرهم وهم يتعاملون معك ؟!!.. وهل ترى السلكاوى صيد سهل، فيتركك تهرب بفعلتك بلا قصاص يصبه عليك وعلى أفراد أسرتك ؟!! .. وهل لديك من الحصانة مثلما نملك نحن، حتى تؤمن نفسك ضد إرهاب السلكاوى وأنصاره ؟!!
.

.. مع تدفق الكلمات، شعر سعيد مباهى بتفاهة تفكيره، وعدم تقديره للأمور، وفى المقابل رأى مدى عظمة الرئيس، فلابد وان ما سمع من الكبير، قاله الرئيس لهم، ولم لا وهو قد أوصاهم به خيرا !!.

انكمش فى جلسته متضائلا، وهمس لنفسه :
- هكذا يفكر الكبار يا مباهى، ياه إلى هذا المدى يصل تقدير الرئيس للأمور، ألا ما أحكمك وأروعك يا رئيس .
.. ولم يستطع سعيد مباهى إلا أن يعتذر للكبير، وهو ينهض منصرفا مكررا أسفه على ما بدر منه، ولكن الكبير منعه من الخروج، قائلا :
- انتظر يا رجل، انك ضيفنا اليوم، فلابد وأن تحتفل معنا بإزاحة رأس الفساد .

- ١٢ -

.. مع ضوء الفجر، عاد إلى بيته ، وساقيه لا تكادان تحملانه، وجد زوجته فى انتظاره، وما أن لمحت وجهه يطل من الباب، حتى قذفته بمسند المقعد الذى كانت تضع رأسها عليه، فتجنبه ليصطدم بالباب، ويسقط على الأرض، صرخت فيه غاضبة :
- أصبحت لا تعود إلى بيتك وعيالك إلا مع الفجر، نسيتنا، ونسيت صلاتك وعبادتك، وأهملت عملك وأكل عيشك، لقد جنيت علينا جميعا: فأنا زوجة بلا زوج، وأبناؤك يبحثون عن القدوة ولا يجدونها، وابنتك التى كنت دائم العطف عليها، تبحث حواليها فلا تجدك، وأحاول أن أعوضها عنك فلا تطيق منى كلمة؛ اللهم انتقم ممن كان السبب فى ضياعنا، اللهم انتقم من السلكاوى !! .
تضاحك يلاطفها :
- لقد استجابت السماء لدعائك، ألم تستمعى إلى الأخبار اليوم ؟!!.. لقد دمر السلكاوى، دمرته أنا .
قالت فى غضب :
- إذا ما قالته زوجة السلكاوى صحيح، لقد اتصلت بى هاتفيا، صباح أمس، وقالت : أهكذا يكون جزاء زوجى من زوجك، وقد فتح له أبواب الخير ؟!!.. أبلغى زوجك أن دوره آت، وأن السلكاوى ليس لقمة تبتلع بسهولة، ثم أغلقت الخط فى وجهى !!.
تبسم ساخرا وقال :
- لست لصا ولا مرتشيا ولا سلكاويا كزوجها، حتى يطيحوا بى مثلما فعلوا به .
قالت زوجته ساخرة ومنذرة :
- لا تكن واثقا هكذا، وانتبه فقد تكون قد دخلت فخا رهيبا، أو أنك تلعب من غير أن تتقن أصول اللعبة .
قال مهونا وهو يقبلها :
- لا تقنطى، فالرئيس يحبنى حبا عظيما، ومن المحال أن يسمح لأحد أن يبطش بى .
دفعته تبعده عنها، ونظرت فى وجهه بقلق، ثم قالت :
- وهكذا كان يقول السلكاوى !! .
احتضنها ليسكت الخوف المتنامى بداخلها، وقال :
- إننى أرى الرئيس كل يوم، وهل ترين فكر السلكاوى الانتهازى كان يتناسب وفكر الرئيس الراقى ؟!!.. لقد كان السلكاوى مجرد خادم، بصاص يتصيد الأخطاء للعاملين ورؤساء الشركات، وليس بصديق مثلى، فالرئيس قد جعلنى جزء من أى قرار يتخذه، فهو يستنير برأيى دائما .
قالت وقد يئست من استجابته لمخاوفها :
- إذا لا تنس أن عملك هذا بلا مقابل، وأن إيراداتك الحقيقية من مكتبك، وقد أهملته فكادت أرزاقنا تجف !! .

.. همس حاسما الموقف، خاصة وقد رأى رؤوس أولاده قد بدأت تطل متسائلة من وراء أبواب حجراتهم :
ـ أعدك منذ اللحظة أن أنتظم فى مواعيد عودتى إلى البيت، وأن أعطى للمكتب من وقتى الكثير .
وأسرع إلى حجرة نومه، لكنها لحقت به تستنفره، قائلة :
ـ الموظفون فى مِكتبك أصبحوا ينهبون كل شىء، آخر واحد من النهابين استقال منذ أسبوع وفتح مكتبا لينافسك .
قال وهو يندس فى الفراش :
ـ أعدك بأنه لا تهاون منذ اللحظة، هكذا نبهنى الرئيس .

ـ ١٣ ـ

.. لم يف سعيد مباهى بما عاهد زوجته عليه، فلقد توالت الأيام والشهور، وهو لا يهتم بمكتبه، تاركا العمل للموظفين، كما وأنه لم ينظم وقت عودته إلى البيت، فهو كما هو يتسلل كل ليلة إلى فراشه فى أوقات متأخرة من الليل، حتى زوجته قد يأست من جدوى الحديث إليه، فأصبحت تتظاهر بالاستغراق فى النوم كلما رأته !!.
.. لقد ظل شغله الشاغل تقصى ما يدور وما يقال عن مديرى الشركات، ولهذا كان يدعو الكثير من الشخصيات المتعاملة معهم، أو ممن تربطهم بهم صداقات، يستدرجهم ويمنيهم بحسن الجزاء، حتى أصبح يعلم الكثير والكثير عن المخالفات التى تحدث داخل هذه الشركات، وبالقطع هو خاف عن رئيس المؤسسة، وإلا لأطاح بأكثر رؤساء شركاتها .
.. وتحولت تقاريره إلى الرئيس لرسائل خاصة، تفيض بالإشفاق عليه من ضخامة المسئولية وتشعبها، كما كتب إليه بلا مواربة عن المديرين وتجاوزاتهم، وتصرفهم فى أمور الشركات التى ترأسوها وكأنه ملكية خاصة بهم، ولم يهتم بنصائح الناصحين من كون بعض هؤلاء الذين ينتقدهم أصحاب حظوة عند رئيس مجلس الإدارة، أو عند أحد من أفراد أسرته، كما أنه لم يرتج خوفا من رئيس قطاع الأمن الذى عرف بضلوعه فى قضايا الفساد مع المديرين، رغم معرفته بقسوته، وخرقه لكل الأعراف، وكتب كاشفا كل تجاوزاته !! .
.. ولكثرة ما انشغل باله وعايش الأحداث، أصبحت تتمثل له فى رؤى تطارده فى صحوه ونومه، وبدأ يسمع أصواتا تناديه تطالبه بأن يخبر الرئيس بكذا أو كيت !!.
.. ومع مرور الشهور، ازداد تدهور أعمال سعيد مباهى، وانفض زبائن مكتبه، وانعدمت موارده، وأصبح يستدين حتى من موظفيه، لكى يسدد مصروفات بيته، و إيجار مكتبه، وهو مندفع أشد الاندفاع وراء تحرياته، غير آبه بشىء، فلقد امتلأ خوفا على الرئيس من الفساد الذى يحاصره كالسوار من كل جانب، حتى لقد تخيل نفسه مبعوثا من الله لإنقاذ هذا الرجل !!.

ـ ١٤ ـ

أصبح الثلاثة يجتمعون كل يوم بمكانهم المفضل، فى المقهى المطل على مبنى المؤسسة، بعد أن كانوا يجتمعون مرة واحدة كل أسبوع، فلقد استهوتهم قراءة تقارير مباهى اليومية، فهم يقرءونها ويضحكون ساخرين وشامتين فى المديرين والرؤساء الغافلين عن انفضاح أمرهم، وانكشاف سترهم، خاصة وأن أسلوب مباهى يعج بالصور والنداءات الصاخبة، وكانوا يتابعون إخطار المديرين من المقربين، بما وصلهم من نقاط التسرب، حتى يتداركوا الأسباب التى أدت إلى تسرب أسرار شركاتهم، وهو ما زاد من تدفق الهدايا والميزات المالية عليهم، من أولئك العارفين بالفضل والجميل، وكانوا يحتفظون برسائل مباهى داخل خزانة خاصة، ولا يعلمون الرئيس إلا بما يتفق وأهوائهم، وبما يضر أعدائهم !! .

.. ولقد أطلقوا على سعيد مباهى مجنون الرئيس، ولقد كان هو كذلك حقا، أما حين يواجهونه، فكانوا يظهرون له الكثير من التملق، ويمتدحونه لغزارة معلوماته وتعدد مصادره، وكانوا يبلغونه بأن رئيس مجلس الإدارة أصبح لا يعتمد إلا على تقاريره، ولا يسمح لأحد غيره بأن يفضها، ويقول لهم :

- أبلغوا سعيد مباهى أننى لا يطمئن لى بال، ولا يغمض لى جفن، إلا بعد أن أقرأ ما يكتبه إلى .

.. وذات يوم فاجأ سعيد مباهى كبيرهم، وهو يردد تلك الكلمات، وقال له :

- إذا كان عملى يثير اهتمام الرئيس إلى هذا الحد، فلماذا لم يحدد لى موعدا للقائه حتى الآن ؟!!.

اربك تساؤله الكبير للحظة فلم يجد ردا، ولكن الخبيث أسرع ينقذ الموقف قائلا :

- لو وافق الرجل على لقائك، لانكشف أمرك عند أعدائه من الفاسدين، فيأخذون حذرهم منك، بل ولدمروك تدميرا، بينما الرجل يدخرك لدور عظيم .

- ١٥ -

لم تفلح كلمات الخبيث فى تخدير مباهى، فلقد ملىء شكا فى ثلاثى مكتب الرئيس، فبدأ يدير تحرياته حولهم، فصدمه ما سمعه عن فسادهم، وأيقن أن رسائله السابقة كانت لا تصل إلى الرجل كاملة، ولهذا بدأ يهتم بإحكام غلق رسائله قبل أن يسلمها إليهم، بل وكتب إليه يحذره من فساد إدارة مكتبه !!.

.. ولقد بلغهم من العاملين بمكتب مباهى، أنه يشتد فى انتقاده لهم أمام زواره، وأنه لا يكف عن الحديث عما كتب وسيكتب به إلى الرئيس حتى يستأصلهم من حوله، ويقول أنه هو الوحيد الذى يصلح ليكون بجانب الرئيس !!.

ثار الكبير ثورة شديدة، قائلا :

- لقد تجاوز المجنون كل حد .

قال الساكت مشفقا :

- إنه مسكين يعيش فى وهم كبير، وهو تحت سيطرتنا تماما .

قال الخبيث :

- لقد كان خطأ منا أن دمرنا السلكاوى، فلقد كان أهون بكثير من هذا الغبى المباهى، الذى يدعى الشرف والبطولة الكاذبة، ولم يطلب لنفسه ميزة واحدة منذ عمل معنا، ولم يصرف له مليما من المصروفات الخاصة، بينما عمله قد بار، والله إنه بحق لمجنون !!.

قال الكبير فى حسم :

- مجنون أو عاقل، هذا أمر لا يقدم ولا يؤخر فى شىء، إذ يجب أن نتخلص منه، فلقد امتد خطره لمسنا نحن .

قال الخبيث فى ثقة :

- هذا أمر سهل، اتركوه لى، وما عليكم إلا أن تراقبوا ما سوف يحدث .

انتفض الساكت وقال فى انفعال :

- والله إن سعيد مباهى لأهون مائة مرة ممن سبقوه، يكفى أنه يصدق أنه يكتب للرجل وليس لنا نحن، ويكفى ما أجلاه لنا من عيوب فى نظام السرية فى شركاتنا .

زجره الكبير قائلا :

- أسكت إنك لمعتوه مثله، يكفى أنه فضحنا فى كل مكان، إنه غبى لا يعرف أصول اللعبة، مثله فى هذا مثل السلكاوى، ولو تركناه ليس ببعيد أن يخترق نطاقنا ليصل إلى الرجل، وحين إذ لن ينفعنا كونه عاقل أو مجنون !!.

رمق الخبيث الساكت بسخرية، ثم قال :
- دعك منه يا كبير، فصوته استشارى، ولقد وعدتك بأننى سوف أخلصك من مباهى، وسوف أفعل .

- ١٦ -

عرف الخبيث من تحريات رئيس قطاع الأمن بالمؤسسة، أن سعيد مباهى يعانى من ضائقة مالية شديدة، وأنه أصبح لا يستطيع سداد ديونه، ووجد فيما عرف الطريق إلى التخلص من مباهى، وتتابعت الخيوط تنسج الفخ فى رأس الخبيث، وقرر أن يبدأ بمجرد أن يراه، ولكن سعيد مباهى فاجأه حين حضر، فلقد صحب معه شابا شديد التأنق، قدمه إليه قائلا :
- السيد عارف، سيعمل معى منذ اليوم .
.. وقبل أن يعقب الخبيث، استطرد قائلا :
- أعرف الشروط، وأيضا عارف قد استوعبها، وهو راض عنها كل الرضا: لا تعيين، لا مكتب، وهل كنت أنا قد عينت، رغم كل هذه السنوات من الإخلاص فى العمل ؟!!.
همس الخبيث وقد حانت الفرصة :
- ولكن الرجل لا ينسى فضل المخلصين، ولك عندى مفاجأة، فقط ليخرج عارف .
انسحب عارف من الحجرة مسرعا، وأسرع مباهى إلى الخبيث متسائلا، وقلبه يكاد يحطم ضلوعه :
- هل قرر الرئيس مقابلتى ؟!!.
تضاحك الخبيث ساخرا، وقال :
- أى لقاء هذا يا سعيد بك، إنه أمر أعظم بكثير من أى أمر آخر .
ولاحظ الخبيث موت الفرحة من وجه مباهى، فأسرع يفجر قنبلته :
- إنها مكافأة .
عادت الفرحة تزغرد فى وجه مباهى، قال غير مصدق :
- مكافأة لى أنا ؟!!.
- من الرئيس، وبالملايين .
- لى أنا ؟!! .
- لقد علم الرئيس بضائقتك المالية، فقرر أن يمنحك قطعة الأرض المجاورة لشركة السحلى، موقع متميز، ومساحة كبيرة، تزيد قيمتها على الخمسين مليونا .
- لكن ..
- لا لكن، ولا شكر، ألم أقل لك أن الرئيس لا ينسى المخلصين، ولكنك لا تصبر .
- أعنى أنه توجد على هذه الأرض لافتة تقول أنها ملك لسحلى !!.
- تقصد أن وكيل مالكها هو السحلى، يا رجل هذا أمر قديم، كان منذ أن كان السحلى رئيسا لتلك الشركة، ولكنه رفت منها، وهى مجرد مسميات قديمة بلا معنى، وإذا كانت هناك أوراق لدى السحلى فلقد زورها أيام أن كانت لديه الأختام، ثم لا تنس أنها تعليمات الرئيس، وأبو سحلى رجل من رجالنا، يؤمر فيطيع .
- فى هذه الحالة، أستطيع أن أنقل ملكيتها باسمى .
- وأنصحك بأن تسرع بهذا، فأرض بلا سند ملكية لا تساوى مليما، كما وأنك لن تستطيع بيعها، وسوف أعمل على مساعدتك، لكى نخرجك من حال الإفلاس التى أصبحت عليها .
ووجد الخبيث نفسه محاصرا داخل ذراعى سعيد مباهى، فلقد فاجأه بأن قفز عليه محتضنا ومقبلا، وقد ارتعد صوته وهو يقول :
- أبلغ سيادته بخالص شكرى، وبأننى سوف أبقى الخادم الأمين .

- ١٧ -

دخل سعيد مباهى على زوجته مهللا، وقد أمسك فى يده عقد تسجيل الأرض، يصرخ فرحا، وقال :

- تعالى، انظرى يا أم العيال، ماذا أصبحنا نملك ؟.

نظرت زوجته إلى الوريقات مستخفة، ثم تساءلت قائله فى لا مبالاة :

- بل قل أنت، أتراها رسالة جديدة، أم بلاغ عن مرتش ؟!!.

قال مفاخرا :

- بل عقد أرض منحها لى الرئيس، تقديرا لجهودى ولاخلاصى .

- أرض، وماذا ترانا فاعلين بها، وليس بدارنا جنيه واحد ؟!!.

- إذا بعناها فهى تساوى خمسين مليونا من الجنيهات .

- أتقول خمسين مليونا ؟!!.

- هكذا يكون تقدير سعيد مباهى الحقيقى .

- وهل تسلمت العقد من الرئيس ؟.

- بل تسلمته من مكتب سيادته .

قالت محذرة :

- أخاف أن تكون مكيدة للتخلص منك كما حدث لسلكاوى ؟.

- وهل من المعقول أن يتصرفوا فى أمر كهذا بلا تعليمات منه، أو أن يقولوا على لسانه دون إذن منه ؟!!.

- وهل تستطيع أنت أن تقول له وقد ورطت ؟!!.

قال المباهى، فى صراخ فأر شعر بأنه قد حوصر، وأصبح قاب قوسين من القتل :

- بل أستطيع، نعم أستطيع، وسوف أكتب له بكل ما جرى .

قالت فى استغراب مستنكرة :

- ولماذا تكتب له، وأنت تقابله ؟!!.

أسرع متداركا زلة لسانه :

- معك حق، سوف أتحدث إليه .

.. جرجر قدميه متجها إلى حجرة مكتبه، وقد ماتت الفرحة أمام ما واجهته به زوجته، فلو صدقت نبوءتها لكان مصيره كمصير السلكاوى، ولانتهى به الأمر إلى السجن، قال لنفسه :

- مصيبة يا مباهى، وأية مصيبة، خاصة وقد تورطت ووقعت على عقد التمليك .

- ١٨ -

تقدم "عارف" يقدم رجلا ويؤخر الأخرى، مد يده إلى الخبيث برسالة مباهى، فدعاه لأن يجلس، ثم طلب له مشروبا ساخنا، وحين انتهى من احتساء المشروب كان الخبيث قد طالبه بأن يقدم تقريره هو الآخر !! .

تساءل عارف متلعثما :

- وهل بإمكانى أن أفعل هذا ؟!!.

- نعم، حتى يتعرف السيد الرئيس على جهدك، وينظر فى أمر تقدير مكافأة لك، أم تراك ستظل تابعا لسعيد مباهى، فتخيب خيبته ؟!!.

قال عارف والفرحة تكاد تحمل جسده فى الهواء ليحلق طائرا كالعصفور :

- إذا كنت سيادتكم تأمر، فإنها لسعادة بالغة أن أكتب لسيادتك بكل ما أرى وأسمع، ففى الواقع أنتم من تقرؤون، وأنتم من تحكمون .

قال الخبيث :
- ولد عارف بحق، أكتب لى عن كل شىء، حتى عن سعيد مباهى نفسه .
قال عارف :
- سيادتك تأمر وعلى الطاعة .
قال الخبيث متداركا :
- بل الأمر هنا لشخص واحد، هو السيد رئيس مجلس إدارة المؤسسة، ونحن جميعا فى خدمته، وأعلم يا عارف، أنه ليس كل ما يعرف يقال .

- ١٩ -

تسلل سحلى فلم يشعر بدخوله أحد إلا حين تكلم متسائلا :
- ما هذا الذى فعله سعيد مباهى فى الأرض التى وكلت عليها يا سادة ؟!!.
ارتدى الكبير قناع اللامعرفة، قال متسائلا :
- ماذا فعل هذا الولد المجنون ؟!!.
ناح سحلى، قائلا فى استنكار :
- لقد سجل الأرض لنفسه يا كبير .
صرخ الخبيث متسائلا فى عجب :
- هذا المجنون، ألا يكف عن تصرفاته الحمقاء التى تسىء إلى المؤسسة .
قال سحلى متلويا من القهر والعجز :
- وماذا أستطيع أن أفعل وهو فى حمايتكم ؟!!.
قال الكبير :
- وهل تراك تعرف عنا تجاوز للقانون ؟.
قال سحلى مؤكدا :
- لقد عملت هنا لسنوات عدة فلم أر تجاوزا للقانون .
- إذا دع القانون يأخذ مجراه، وليحصد سعيد مباهى ما زرعت يداه ،
فرك سحلى كفيه فى حبور قائلا :
- إذا تسمحون لى ؟..
قال الكبير فى حزم :
- افعل ما شئت .
انصرف سحلى وقد ملىء عزما، قال الخبيث متأففا فور خروجه :
- كم أكره أسلوب هذا السحلى، إنه يتواجد بيننا كالبلاء بلا مقدمات ولا استئذان .
قال الكبير :
- ولكن له دور نحتاجه ليقوم به، ويجب أن نحتمله، ثم كما أذهبناه من قبل، نرميه خارجا .
قال الساكت مشفقا :
- انه شرير وشحيح، ولن يترك لمباهى فرصة للتنفس، بعد أن اعتدى على أرضه .
قال الكبير :
- وهذا غاية ما نتمناه، حتى يعلم المباهى مع من يلعب .
.. ثم أردف قائلا لهما :
- تابعا السحلى وحفزاه حتى يسرع بالانتهاء من سعيد مباهى .

- ٢٠ -

لم يتوان سحلى لحظة عن إبلاغ النيابة ضد سعيد مباهى لاعتدائه على أرض هو موكل عن مالكها، وأصر على أن يسلم بلاغه يدا بيد لوكيل النيابة، وحين دخل عليه عرفه بنفسه، ولم يكن فى حاجة لكل ما قال، فلقد تذكر وكيل النيابة منذ وقعت عليه عينيه، أنه كان أستاذه بالجامعة، فقام يبدى واجب الطاعة والعرفان، ولما عرف بالموضوع، أسرع يصدر قرارا بسرعة القبض على سعيد مباهى، ليعرض عليه محبوسا .

.. عرف سعيد مباهى من مصادره بكل ما حدث، فأسرع تاركا بيته ومكتبه، واختبأ عند أحد أصدقائه، وانهمك يكتب بكل الغضب القصة كاملة لرئيس مجلس إدارة المؤسسة، ويوصيه بزوجته وأولاده خيرا، بعد أن تمكن الفاسدين من الإيقاع به .

ثم تحدث بعد ذلك إلى عارف، وطلب منه أن يحضر إلى مخبأه ليحمل رسالته إلى السيد الرئيس .

- ٢١ -

قال الخبيث، وهو يتسلم الرسالة من عارف :

- بالقطع قد بلغك تصرف سعيد مباهى الأخير، لقد استغل صلته بنا وتحايل وسرق لنفسه أرضا هى من ممتلكات إحدى شركات المؤسسة، ثم ها هو ذا قد هرب من مواجهة القصاص .

تساءل عارف فى دهشة :

- وهل تتركوه ليسجن، إنه يقول أنكم أنتم من سمح له بتملكها هدية مقابل عمله ؟!!.

تساءل الخبيث دهشا :

- نحن سمحنا له، وهل نحن جهة تمليك، ياله من كاذب، هل قال لك هذا، وإن كان بريئا فلماذا لا يواجه الجميع بأدلة براءته .

.. سكت الخبيث لحظة، ثم سأل عارف بغتة :

- ألا تعرف مكان اختبائه ؟.

قال عارف وقد أدرك أنه قد وقع فى الفخ :

- وكيف لا أعرفه، ومعى رسالة منه ؟.

- ولد زكى، إذا ترشد سحلى على مكانه، وتتولى أنت عمله، وسوف تكافأ منذ اللحظة الأولى، وسيكون لك مكتب أيضا .

- ٢٢ -

.. خرجت الصحف بعناوين صاخبة، تعلن عن القبض على نصاب يتحايل على سرقة أراض المؤسسة بتوكيلات مزورة، مستغلا ادعائه بأنه على صلة بمكتب رئيس مجلس الإدارة .

تساءل الساكت بعد أن رمى بالجريدة بعيدا :

- هل سنترك سعيد مباهى يسجن يا كبير ؟!!.

قال الكبير :

- بل سنوقف الحكم، ولكن بعد أن يكون سعيد مباهى قد عاد إلى صوابه، وعرف أن للعبة أصول لا يجب عليه أن يتخطاها، فإما أن يسير عليها، وإما أن يعتزل ويبتعد عن الملعب نهائيا.

.. صدر الحكم على مباهى بالسجن سبع سنين، لكنه لم يستسلم لسجنه، وراح يهرب الرسائل مع عارف ليوصلها إلى رئيس مجلس إدارة المؤسسة، وكان عارف يسلمها إلى الخبيث، فيقرأها ويضحك ساخرا من غباء مباهى، ثم يمزقها، ومع مرور الأيام تغيرت لهجة سعيد مباهى، وأصبح يميل إلى المهادنة، بل إنه كتب يشيد بجهد رجال مكتب الرئيس وتعاونهم معه، قائلا إن

ما كتب من قبل كان مجرد انفعالات غاضبة، وأن الحقيقة تطالبه بأن يعلن أنه قد أخطأ ويطلب الصفح .

قال الساكت معقبا فى إشفاق :

- ألا تعفو عنه يا كبير ؟!!.

قال الكبير :

- بل نتركه بضع شهور أخرى، ثم نستدعى السحلى ونأمره بالتنازل عن الأرض.

صرخ عارف بلا وعى قائلا :

- بل تتركونه بضع سنين .

ضحك الخبيث فى صخب وقال :

- لك ما تريد يا عارف، دع المباهى يا كبير فى السجن بضع سنين .

تِمت بحمد الله

الميراث

ـ ١ ـ

حين ضغطت الجرس لم تنتظر طويلا، فسرعان ما انفتح باب الشقة وكأن هناك من يقف خلفه، لتجد نفسها فى مواجهة بحر يموج بالسواد، أربكها المشهد، فهى لم تعتد هذه المناسبات، فلقد كانت تتهرب دائما من أمها حين تدعوها لمرافقتها عند ذهابها لأداء واجب العزاء فى قريب أو جار، قالت لمن فتحت لها الباب :

ـ البقاء لله .

ردت عليها بتمتمة لم تتبينها، وتقدمت تسير بها إلى بحر السواد، فسارت وراءها متعثرة الخطى، لمحتها ابنة عمها، فسارعت إليها تحييها، ثم أخذتها من يدها إلى حيث جلست سيدة شابة تتساقط دموعها على خديها فى صمت، بينما غلفت وجهها سحابة كئيبة من الحزن الشديد، قالت تقدمها لها :

ـ " منى ".. زوجة المرحوم " أيمن " أخو زوجى..

ثم أردفت :

ـ وهذه " جميلة " ابنة عمى .

نهضت المرأة الحزينة لتحيتها فتمايلت وكادت تسقط، لكن " جميلة " تلقفتها بين ذراعيها، فانهارت الزوجة الحزينة على صدر " جميلة " وأجهشت بالبكاء، فلم تملك إلا أن تحتضنها بقوة وتبكى شفقة عليها، وحين تماسكت عادت لتتكوم فى مقعدها وهى تتمتم " لجميلة " بكلمات شكر، بينما ربتت ابنة عمها على كتفها فى حنان، وذهبت بها إلى ركن بعيد، وقالت هامسة :

ـ مسكينة " منى "، تصورى أنها لن تنال من الملايين التى تركها زوجها إلا ملاليم، فهى لم تنجب له الوريث، بينما ستكون ثروته الضخمة من نصيب والديه واخوته، فلقد فاجأه الموت فلم يختص زوجته بشىء غير ميراثها الشرعى، أتصور لو أنه علم بما سيصيبه، لكتب لها كل ما يملك، فلقد تزوجها منذ شهور قليلة، وكان يحبها حبا عظيما !!.

ـ ٢ ـ

.. منذ تلك اللحظة وصورة الأرملة الحزينة لا تفارق خيال " جميلة "، ولم تغادر كلمات ابنة عمها فكرها، وأضحت " جميلة " دائمة الانشغال بالميراث، وراحت الأسئلة تدق على رأسها :

.. ما هو مصير الأرض التى تملكها حماتها بعد أن تموت ؟

.. كيف سيتم تقسيمها ؟

.. وكم سيكون نصيب زوجها ؟

.. وهذا الذهب الذى يبرق فى ساعدى حماتها، ويتمايل فوق صدرها، تزينه فصوص الماس واللؤلؤ، رغم كونها امرأة عجوز تجاوز عمرها التسعين عاما، لكنها تحب أن تكون دائما فى أبهى زينة، وأحسن منظر، مما يقطع فؤاد" جميلة " ويملأها بالحسرة كلما رأتها، فها هى العجوز الشمطاء تلبس وتتزين، بينما هى الشابة الحسناء لا تجد إلا اقل القليل لتتزين به.. ترى هل سينالها شىء من هذه المجوهرات عن طريق ما سيئول إلى زوجها، أم ستستولى بناتها عليه ؟!.

ـ ٣ ـ

مع توالى الأيام، بدأت تهاجمها فكرة أن يموت زوجها فجأة قبل وفاة والدته، كما مات شقيق زوج ابنة عمها :

.. ماذا سيكون عليه حالهم ؟.

.. كيف سيوزع الميراث .. خاصة وهى لم تنجب من زوجها غير ابنتين ؟! .

ـ ٤ ـ

ومنذ استقرت فى كيانها كل تلك التساؤلات، والنوم قد خاصم جفونها، كانت الأسئلة تطرق عقلها، تدق عليه بإلحاح ..لا تتوقف، فبدأت فى البحث عن الإجابات عند من تعرفهم ممن لهم اهتمام بشئون الدين والدنيا، وعرفت أن ابنتيها سترثان جدتهم فى حال وفات أبيهم قبلها،

وازدادت اطمئنانا حين ذهبت في سرية كاملة إلى دار الإفتاء، وقال لها الشيخ إنها وصية واجبة وبناتها يرثن الجدة بمقدار ميراث الأب لو كان حيا، ولكنها لم تطمئن مما سمعت على حالها وحال بناتها لو مات زوجها قبل موت أمه، فهي وبناتها لا يرثن تركته كاملة، بل سيشاركهن في الميراث الاخوة والأم .

.. جن جنونها، راحت تلح على زوجها ليكتب لها ولبناتها ما يملك من عقار بعقد بيع موثق، مارست عليه كل الضغوط ، هجرته في الفراش، توقفت عن إعداد إفطاره، حتى كوب الشاي باللبن الذي يعشق شربه من يديها، لم تعد تعده له، وأخذت تتناوم عند خروجه، وعند عودته، إلى أن وافق على ما طلبته ، وسجل لها ولابنتيها كل ما يملك من أرض وعقار، فلقد أقنعته تماما بمقولتها " أنه لا سند لهن في الدنيا من بعده غير ما سيرثنه منه، وما يمتلك هو حقه لأنه حققه نتيجة جهده وشقاء أيامه ولياليه، فكيف ينتهبه اخوته بلا جهد منهم ولا تعب ؟!.. وليرضيها أكثر ذهب معها إلى البنك وكتب لها توكيلا تصرف بموجبه ما تشاء من رصيده، ووقتما تشاء .

وحين ارتاح بالها، بدأت توصي زوجها بأن يلاحق أمه العجوز ويراقب تصرفاتها، فلعلها تختص اخوته بجزء من أرضها، فهي ترى أن زوجها هو أكثرهم ثراء، وأكبرهم دخلا ، لذلك عليه أن يحصي حركاتها، وأن تظل عيناه على الذهب، فلعل أخواته البنات يستولين عليه، فيحرمنها وبناتها منه.

- ٥ -

لما علمت العجوز بما فعله ابنها، كانت على يقين من أن زوجته هي دافعته لذلك، لهذا اتصلت " بجميلة " عبر الهاتف وحذرتها من غضب الله، لأنها جعلت زوجها يخالف ما شرع .

فلما وجدت فيها عدم استجابة، حزمت أمرها وقامت بزيارتها في بيتها، وقالت لها :

- يا ابنتي إني أخاف على ابني من مخالفة أوامر الله تعالى، وأن الله حين قسم الميراث بهذا الشكل، كان ذلك من أجل الحفاظ على التراحم، ودفعا للاخوة لكي ينهضوا بمسئوليتهم تجاه بنات أخيهم .

ولكن الزوجة الشابة ردت العجوز بقسوة، وقالت لها :

- هذا حقي وحق بناتي وعلى أن أصونه وأحافظ عليه .

حين إذ قالت العجوز في انكسار :

- إذا ليبق الأمر سرا حتى لا يصيب نفوس اخوته شيء ناحية أخيهم، ولو أنني أعلم أنهم لو خيروا بين مال الدنيا وبين حبهم لأخيهم، لاختاروا حب أخيهم، ولكني أحذرك يا ابنتي بأن تتقي الله في ابني وفي بناتك ونفسك، بأن تفكري مرة أخرى في تصحيح ما حدث، واحذري يا ابنتي فالمثل يقول : يا وارث من يرثك.!!.

وواصلت الحديث، قبل أن تغلق " جميلة " الباب وراءها، فقالت في رجاء :

- خذي وقتك يا ابنتي، وفكري كما تودين، وسأتصل بك لأسألك عن قرارك، فلعل الله هاديك لأمر يرضيه .

- ٦ -

مرت أيام ثقيلة على الأم العجوز وكأنها دهر، وهي تنتظر مكالمة من " جميلة "، فلقد كانت تخشى أن يذيع أمر ما فعل ابنها الكبير، وتنتشر القطيعة بين الاخوة، وهو الأمر الذي حرصت كل الحرص على ألا يحدث منذ وفاة زوجها، ولكن الزوجة الشابة لم تتصل بها.

على مضض رفعت سماعة الهاتف، ورن جرس التليفون كثيرا، ثم .. وبعد وقت طال، ردت إحدى حفيدتيها، فسألتها عن حال أبيها، وعن أمها .

وبلا مقدمات بكت الصبية، وطال بها البكاء، سألتها متوجسة :

- ما بك يا " رضوى "، هل أصاب أبيك مكروه ؟!!.

قالت الطفلة وصوتها كالنحيب :

- إنها أمي يا جدتي .

- سلمت، ما بها ؟!!.

قالت :

- ألم يخبرك أبى ؟!!.
- لم أره، ولم يكلمنى منذ أسبوع .
- لأنه منذ ذاك التاريخ وهو منشغل بأمى، فهو يحملها كل يوم إلى الأطباء ليصلوا إلى سبب الداء الذى أقعدها .

صرخت العجوز فى حزن :

- أقعدها .. ألف سلامة لأمك، أنا آتية إليكم حالا .

على عجل ارتدت العجوز ملابس خروجها، وهى فى حال من الارتباك والقلق، وحين وصلت بيت ابنها، وجدت " ريم " أخت " رضوى " تترقب وصولها، محشورة بين دلفتا باب الشقة الموارب، وقد بدا القلق والخوف على وجهها الجميل، مالت تقبلها، فهمست البنت فى أذنها وصوتها يرتعد، تستحلفها بالله ألا تقول لأمها أو أبيها شىء مما أفصحت به " رضوى " إليها، فلقد شددت أمهما على ألا تعلم الجدة أو أحد من الأعمام والعمات بما أصابها، طمأنتها العجوز وهى تضمها إلى صدرها، وقد ملئت عجبا من أمر الدنيا وفكر ابنها وزوجته، فهل تراهم سيشمتون لمرضها، أو يسرون لذلك ؟!!

أقبل ابنها من داخل البيت، وقد ركبته الهموم، قالت تحاوره وقد شبت على أطراف أصابع قدميها تقبله :

- يا ولدى .. لك أيام لا تكلمنى ولا تزورنى على غير ما عودتنى، قلت أحضر أنا لزيارتك ؟..

انهار الابن على كتفها، وبكى قائلا من خلال دموعه :

- إنها زوجتى .. فوجئت بها منذ أيام تصرخ وهى فى السرير، وحين أسرعت إليها قالت أنها لا تستطيع تحريك جسمها، لقد عادها أكثر من طبيب .. لكنهم عاجزون عن إدراك سبب ما حدث، فالتحاليل لا تظهر بها مرضا، بينما حالتها تتأخر وتسوء يوما بعد يوم .

قالت العجوز من أعماقها :

- مليون سلامة لجميلة، أين هى الآن، خذنى إليها .

أشار ابنها إلى حجرة نومهم، فتحركت إليها فى همة وهى تستغفر الله، وحين دخلت عليها انكفأت على صدرها تحتضنها فى لهفة، وتدعو لها بالشفاء العاجل، واستكانت الزوجة الشابة لدفأ مشاعر الحماة العجوز، وسالت دموعها فى صمت، اعتدلت العجوز تمسح حبات الدمع عن الخدين الذابلين، فتمتمت " جميلة " فى حزن :

- أوصيك بابنتى يا آمى .

جاشت أعماق العجوز بالشفقة، وقالت فى لهفة وحب :

- منذ اللحظة سأبقى معك يا ابنتى، ولكن لا ترددى هذا الكلام، هى أزمة وستمر على خير إن شاء الله ..

- ٧ -

نفذت العجوز ما وعدت به فلم تغادر بيت ابنها، وأخذت تعمل على رعاية زوجته وحفيدتيها وابنها، رغم كونها تتحرك فى مشقة، ولكنها لم تكن تؤخر لهم طلبا، وكل ما كان يؤلمها ويقض مضجعها ويصيبها بالوهن والحزن، حال الزوجة الشابة كان الذى راح يسوء ساعة بعد ساعة .

ذات يوم، وكان ابنها كعادته قد اعد لنفسه كوب الشاى باللبن وتناول لقيمات وخرج إلى عمله، بينما العجوز قد انشغلت فى الانتهاء من تجهيز حفيدتيها للذهاب إلى مدرستهن، حينما ارتفع صوت نفير سيارة المدرسة يدوى مطالبا بنزول البنتين، فأسرعتا كما اعتادتا إلى حجرة أمهما لتقبيلها قبل الخروج، لكن صراخهما قطع قلبها، فتكفأت وهى تسرع إلى الحجرة، لتجد الزوجة الشابة قد سكنت حركتها .

فى رحمة شديدة أبعدت العجوز حفيدتيها عن الجسد الساكن، ثم انحنت تتناول اليد الباردة وتقبلها، ودموعها تتعثر بين تجاعيد وجهها المرتعد، هامسة :

- سامحينى يا ابنتى . لقد قسوت فى حديثى إليك عن الميراث، لكن يعلم الله أنى كنت أخاف عليك من هذه اللحظة، فليغفر لى ولك الله .

مجلة أكتوبر يناير ٢٠٠٤

مــا أريده

ـ ١ ـ

كان عمى " عبد الرحمن " هو من أريد أن أكون مثله، هو شقيق أبى، مات جدى وتركه صبيا، ليتولى أبى مسئولية تربيته، فكان له الأخ والأب، ساعده على ذلك الفارق الكبير فى السن بينهما، فلقد كان أبى حين مات جدى فى الأربعين من عمره، بينما كان عمى عبد الرحمن فى الخامسة عشرة، بينما كنت أنا فى العاشرة .

كنت أرى حب أبى الشديد لعمى، وحدبه عليه، وتعلقه به، حتى لقد كنت أتصور أنه يحجبنى عن أبى فلا يكاد أبى يشعر بوجودى ولا بوجود أخى الصغير " حسن " ولا حتى بوجود أخواتى الأربعة، وأصبحت أغار من عمى، وكثيرا ما تمنيت لو كان هو أنا وكنت أنا هو !.

ـ ٢ ـ

حين نجح عمى " عبد الرحمن " فى شهادة الثانوية العامة مختتما دراسته، نجح بتفوق جعله مؤهلا لأن يختار الكلية التى يريدها، ولذلك فاجأه أبى بمكافأة ما كانت تخطر له ولا لنا على بال، فلقد قرر أن يلحقه بالجامعة الأمريكية، وحين بدت الدهشة على أمى، وتساءلت هامسة :

ــ إن مصروفات هذه الجامعة باهظة جدا، وجامعاتنا الحكومية لا بأس بها، وهى لا تقل عنها فى المستوى العلمى ؟!.

قال لها أبى :

ــ إنها نقوده، فلقد ترك له أبى الكثير، كما وأنه وعد قطعه أبى على نفسه أمامى قبل وفاته .

ولأن أبى كان حاسما فى قراراته، ولأن عمى " عبد الرحمن " كان مسالما لا يثير الضغائن أو حفيظة أى منا، حتى كنا لا نستطيع إلا أن نحبه ونتعاطف معه؛ سكتت أمى ولم تعقب، ولكنى لم أستطع أن أخفى رغبتى فى التشبه بعمى، فهمست فى تردد :

ــ وهل يا أبى لو حققت نفس درجاته، وتفوقت فى دراستى، تدخلنى مثل عمى الجامعة الأمريكية ؟.

نظر أبى لى فى عطف، ولأول مرة شعرت من نظراته أنه يحبنى كل الحب، قال فى صدق وحماس :

ــ بالقطع سوف ألحقك يا ولدى مثله بالجامعة الأمريكية، فقط عليك أن تزيد من فترات مذاكرتك لدروسك، وبإذن الله سيكون لك ما تريد .

خرجت من الحجرة إلى الصالة مسرعا حتى أنفذ ما لم أكن لأستطيع عمله أمام أبى، ورحت أقفز فى سعادة غامرة وكأننى أحلق فى السماوات العلا، وأهمس من شغاف قلبى :

ــ لكم أحبك يا أبى .

ـ ٣ ـ

رحت أسابق الأيام، وأجتاز السنين، حتى أصبحت فى السنة الموعودة، ويوم أعلنت النتيجة ذهبت باكرا إلى المدرسة، وانتظرت ساعات حتى أبلغوا بأرقام الناجحين ودرجاتهم، ورحت أزاحم حتى عرفت أن ترتيبى هو الثانى على مستوى الجمهورية، أى أننى قد حققت ما لم يستطع عمى " عبد الرحمن " أن يحققه .. لقد تفوقت عليه .

أخذت طريقى إلى البيت مسرعا رغم تحلق زملائى حولى، ورغبتهم فى أن نحتفل معا بهذه النتيجة التى تفخر بها مدرستى كلها، ولكنى لم أهتم، فكل ما كان يهمنى أن يعرف أبى بما حققه ابنه، وأن أرى الفرحة تملأ عينيه، وهو يفى بوعده، ويعلن أنه يلحقنى بنفس الجامعة التى ألحق

بها عمى " عبد الرحمن " ، ولماذا لا يحدث هذا وسوف يقبلونى مرحبين، بل سوف أعفى حسب نظامهم من مصروفات الدراسة فى السنة الأولى ؟! .
ولأنى وجدت خطواتى أبطأ من فرحتى، ناديت أول سيارة مرت بجانبى، وطلبت من السائق أن يوصلنى لمحل تجارة أبى، وطوال الطريق كنت أرى ما سيحدث، أبى يحتضننى، يقبل جبهتى كعادته، ينادى " عم رشاد " كاتب المحل ويطلب منه أن يسقى الشربات لكل عمال المحل والزبائن، بل وكل من يمر أمام المحل ، وبالقطع هو سيأمر بذبح خروف يوزع لحمه على الفقراء شكرا لله على ما أنعم به علىّ.

ـ ٤ ـ

انتبهت على تساؤل سائق التاكسى :
ـ يا سيد .. أليس هذا هو عنوان الوصول ؟!.
ناولته الأجر مضاعفا، وأسرعت إلى باب المحل، ولكنى فوجئت بأنه لا يوجد مدخل، فلقد كان المحل مغلقا، انتابنى العجب فاليوم يوم عمل، وأبى لم يتخلف يوما عن عمله، ترى ماذا حدث ؟!.
امتلأ قلبى بحزن غريب، جمدت مكانى حائرا لا أدرى كيف أتصرف، ولا ماذا أفعل، توقف عقلى تماما، وضاقت الدنيا من حولى فما عدت أدرى بشىء !!.
أفقت على يدان تحتضنانى بشدة وبدمع ينثال على شعرى، وصوت " عم رشاد " ينوح :
ـ البقاء لله يا ولدى، لقد قالت أمك أنك بالقطع سوف تخرج من المدرسة إلى هنا .
إذا هنالك حالة وفاة فى أسرتى، ومن مات ليس أمى، فهل تراها واحدة من أخواتى الأربعة : ياسمين أم سعاد أم نشوى أم سهى ؟!.
.. أم تراه عمى " عبد الرحمن " ؟!!.
: آه يا عمى ..
لم أعد أقدر على شىء، ولا أفهم شيئا، سحبنى " عم رشاد " من يدى وأدخلنى تاكسى، فانسحبت معه، ثم جرنى من يدى وأنزلنى من التاكسى، فانجررت معه، وسندنى يسير بى إلى مدخل البيت، فتساندت عليه .
كل شىء كان من حولى غريبا، السرادق الذى يغلق الشارع أمام بيتنا، الناس الذين يتجاذبونى ويحتضنونى بحب ولهفة، ويصبون فى أذنى كلمات مواساة غريبة مبهمة بلا وضوح ولا تحديد، النسوة اللائى يلفهن السواد ويصرخن فى وجهى كلما تخطيت إحداهن، العيون كل العيون التى امتلأت بالدموع وهى تتأملنى فترخ منها المياه طوفانا، حتى عمى " عبد الرحمن " أسرع إلىّ يحتضننى، ثم انهار فوق كتفى منتحبا، فانهرت ساقطا على الأرض، ولم أعد أدرى بشىء .

ـ ٥ ـ

حين أفقت وجدتنى وحيدا فى فراشى، وكل شىء من حولى ظلام، اللهم دفقات من نور قوى تخترق شيش الشباك، وترسم على سقف الغرفة أشكالاً سريالية مبهمة، تماما كالأفكار التى كانت تتضارب داخل عقلى، أفكار كثيرة مشوشة : النتيجة .. التفوق .. الجامعة الأمريكية .. المجانية .. التاكسى .. " عم رشاد " .. عمى " عبد الرحمن " .. مترادفات وأفكار كثيرة كثيرة، إلا ما حدث، لم يكن له وجود فى فكرى، ترى ماذا حدث ؟!.. وهل حقا حدث شىء ؟!!.
تحاملت على ساقى حتى أنهض، كنت مرهق تماما، استندت على الحائط وخطوت حتى وصلت إلى النافذة، واربتها فى حذر، فلقد كان الضوء حادا يكاد يثقب عيناى، كان مدخل

السرادق فى مواجهتى، كل من أعرفهم من أهلى وجيرانى موجودين، لكنه " هو " لم يكن موجودا، ترى هل هو من ؟..
صرخت من أعماقى :
ـ لا .. لا يا أبى لا تمت لا تقتل الفرحة فى قلبى، لا أريد الجامعة الأمريكية، لا أريد النجاح، لا أريد إلا أنت .
انهرت أبكى بشدة وقد سيطر على شعور كاليقين بأن أبى قد مات، وارتفع صوت نحيبى، ووجدت يد عمى " عبد الرحمن " تمسح على رأسى فى حنان، وصوته يقول متألما :
ـ إنه ليس أباك وحدك، لكنه أبى أيضا، إنها مشيئة الله، وعلينا أن نتماسك حتى يكون فخورا بنا .
جذبنى برفق من يدى لأنهض، وهو يقول :
ـ تعال معى لتتقبل عزاء أبيك .

ـ ٦ ـ

لم أستطع تحقيق ما أريده ووعدنى به أبى، فلقد كان على أن أواصل مشوار والدى بعد أن سافر عمى " عبد الرحمن " خارج البلاد فى بعثة مدتها ثلاث سنوات، وأصبح لزاما علىَّ أن أتوقف عن الدراسة لأدير المتجر، وأواصل دور أبى فأزوج أخواتى البنات الأربعة، وأربى أخى " حسن ".
مع مرور الأيام وتتابع السنوات، تتابع زواج اخواتى، واكتشفت أننى لم أتخل عما أريده، فلقد واصلت الدراسة مع " حسن "، وكنت حين أعود من المحل، أسهر مذاكرا معه، فتفوق، وألحقته بالجامعة الأمريكية، فسطع نجمه، وتواصل نجاحه، وجاءنى والفرحة تجعل أنفاسه تتقطع، ودعانى لأحضر حفل تخرجه .

ـ ٧ ـ

كانت صالة الاحتفال تموج بالأصوات والأضواء، وبالشخصيات العلمية الهامة، وحين أعلن المذيع عن بدء الاحتفال، ساد كل شيء صمت قدسى ، ثم سمعت المذيع يذكر اسمى لحصولى على المركز الأول، بعدها نادى علىَّ طالبا منى أن أصعد إلى المنصة، وإذ " بحسن " يتقدم إلى المنصة يرد بكلتا يديه تحية الجمهور، ولكنه توقف فجأة عن السير، بالقطع هو قد انتبه إلى أنه قد صعد بدلا منى، فها هو يتجه إلىَّ، يأخذ بيدى، يصعد بى إلى المنصة، ينحنى يقبلنى، ثم يرفع رأسه فى شموخ، وهو يرفع معها يدى لأعلى صائحا فى اعتزاز، يقول :
ـ هذا هو النابغة، هذا هو الأول، هذا أخى الذى أعطانى كل شيء .
ثم راح يحتضننى بشدة وكأنه يريد أن يذوب فىَّ، أو يذيبنى فيه، تساقطت دموعى على وجنتى، وأيقنت لحظتها أنه قد تحقق لى كل ما أريده .

مجلة أكتوبر

وجاء أخيرا

كان الوقت عصرا، وجميع من فى البيت نيام..أمه، أبوه، وأخته الكبيرة، فاليوم يوم الجمعة وهو راحة الجميع .. فأمه لا تطبخ لهم وتقول : على المعدة أن تستريح من دسم الطعام، وتقوم بإطعامهم وجبات خفيفة، وأخته تنام حتى شروق الشمس ولا تستيقظ مع آذان الفجر وتكتفى بأن تستغفر الله عن فوات صلاة الصبح فى وقتها، وتتعلل بأن الله رؤوف رحيم يعرف شقائها طوال الأسبوع فى مصنع الملابس الذى تعمل به منذ شروق الشمس وحتى غروبها، حتى أبوه يغلق المحل فى هذا اليوم ويلازم البيت ولا يغادره إلا لصلاة الجمعة فى المسجد.

.. فتح باب الخروج بحذر حتى لا يصدر صوتا يوقظ أى من النائمين، ووقف فى فتحته مترددا وقد أخذه الشوق لرؤية جدته كل مأخذ، كان يود أن يقول لأمه فهو يعرف كم تحبه وتقلق لغيابه، ولكنها بالقطع لم تكن لتوافق على خروجه وحيدا ليسير من الجمالية إلى السبتية :

ـ مشوار طويل عليك يا ولدى، والشر محيط بحينا .

.. فحى الجمالية يموج منذ أيام بالأحاديث عن ذلك المجرم الذى فاجأهم بسرقة ما ينشرونه من ملابس على حبال شرفات بيوتهم، ويوقع الرعب فى قلوب الرجال بخروجه عليهم من مكامنه بالمناطق المظلمة ليأمرهم بصوته الخشن بتسليمه ما معهم من مال أو مشتريات، ثم يتركهم مهزومين يسبون ويلعنون ويتوعدونه بالويل إن هو عاود فعلته مرة أخرى، فهو مجهول لهم، وكل ما يعرفونه عنه قامته الفارعة وبنيانه القوى، والسكين الكبيرة التى يهددهم بها، أما ملامح وجهه فهى مختفية خلف قماش داكن يلف به رقبته ورأسه، حتى أبوه قد خرج عن هدوءه المعهود، وهو يصف اللص لأمه، ويطلب منها أن تأتيه بالزقلة التى كان يضرب بها جده فتوات الحى، وقال هازا رأسه :

ـ حقيقة أنه ليس لنا أعداء والحمد لله، ولكن لماذا لا أحتاط ؟.. وإيراد الدكان يكون فى جيبى عند عودتى آخر الليل وحيدا.

حين إذ قالت له أمه :

ـ ولماذا لا تغلق الدكان قبل الغروب وتعود فى نور الله، فكثيرا ما ينقطع التيار الكهربائى عن أعمدة الإنارة وهو ما يسهل لهذا اللص مهاجمة البيوت والمارة .

قال أبوه لأمه محتدا :

ـ وهل نترك لصا ليتحكم في الشرفاء ويعلمنا متى نعمل ومتى نلجأ لدورنا ؟.. ثم إننى أحب أن أتأخر لموعد صلاة العشاء فألحق بالمصلين فى المسجد لأنال ثواب الجماعة .

قالت أمه فى إلحاح :

ـ يا حاج ليس لنا غيرك، والحذر واجب، وصلاة واحدة فى البيت فى مثل هذه الظروف الطارئة لا تغضب الله، فالله يغفر لمن يكون مضطرا .

قال فى حسم :

ـ ناولينى الزقلة وأوكلى أمرك لله، ومن يتق الله يجعل له مخرجا.

غابت أمه طويلا فى حجرة الخزين، وهو يترقب عودتها ليرى هذه الزقلة التى يطلبها أبيه، وحين جاءت بها أمه وجدها عصى قصيرة سميكة، فاندفع إلى أبيه يحتضن ساقيه قائلا فى رجاء :

ـ هل تسمح لى بأن أمسك بها يا أبى، فأنا أريد أن أضرب بها اللص اللعين .

ضحك أبوه طويلا وهو ينظر إليه فى إعجاب، ثم ناوله العصى وهو يقول :

ـ حقا ما قيل من أن من أنجب لم يمت، رجل بحق يا ولدى، فأنت حفيد الحاج البردينى .

تأمل الطفل مقبض العصى الخشن، فوجده مزركشا برسومات بارزة، بينما غلفت نهايتها بجراب من حديد، وبعد لحظة شعر بثقلها، فناولها لأبوه قائلا :

ـ إنها ثقيلة جدا يا أبى .

تناولها أبوه منه، وحركها يمنة ويسرة فى سرعة، ثم مسح عليها بكفه فى حب، وقد عقد ما بين حاجبيه فى عزم، ثم وضعها تحت إبطه الأيسر وخرج قائلا :
- أراكم على خير.
.. حسم أمره، تسلل خارجا من البيت فى سكون، ولقد تمنى من كل قلبه لو قال لأسرته قبل أن يغلق الباب من خلفه :
- أراكم على خير .
ولكن كيف له أن يرفع صوته فيستيقظ الجميع، ويحرم من رؤية جدته، ومن الريال الفضة الذى تعطيه له كلما زارها ؟!.
أسرع يقفز درجات السلم مثنى وثلاث، ثم انطلق يجرى على رصيف الشارع السكن فى خمول، فهو عازم على أن يعود مبكرا حتى لا يدركه خطر اللص والليل الذى لا يحبه، بل لا يحبهما .
عندما قال لجدته :
- أنا راجع لبيتنا يا حبيبة، هل تريدين منى شيئا ؟؟
دعت له جدته بالسلامة، ثم قبلت جبهته بعمق ودست فى يده قطعة النقود الفضية، وقالت :
- اشترى ما تريد وأنت ماشى، ولكن أسرع حتى لا يدركك الظلام .
.. كان بوده أن يبقى مع جدته وقتا أطول، فحديثها لا ينقطع ولا يشبع منه، وهو يحبها حبا جما، ولكن الشمس بدأت فى الغروب، منسحبة من شرفة المنزل، والظلام لابد وان يطوله قبل أن يصل إلى بيتهم، فالمسافة بين السبتية والجمالية ليست بالقصيرة، وحين يحل الظلام سوف يجىء اللص العملاق ليمارس سرقاته، وبالقطع سيسلبه القطعة الفضية حتى لو خبأها كما علمته أمه عندما ترسله ليشترى لها لوازم للبيت، أن يضع النقود فى ثنية السروال ثم يثنيها مرات، ولكن كيف له أن يخفى أمرها عن اللص وهو بالقطع سوف يضربه، أو يضع السكين ليثقب بها عنقه إذا شعر بأنه يكذب، حين إذ فكر أن يبيت عند جدته، ولكن كيف يتخلف عندها وأمه لا تعرف مكانه ؟!.. كما وأن كتبه وكراساته المدرسية فى بيتهم، وغدا سيذهب للمدرسة ليقص على أصحابه مغامرته هذه، تنهد وحسم أمره، اتجه إلى الباب وقال :
- أراك على خير يا جدتى .
وأسرع يغلق الباب خلفه، واتجه كعادته ليرتقى حاجز السلم، ثم يترك جسده ينزلق نازلا فى ثوان ليقع فى مدخل البيت، وهو يشعر بالخدر يجرى بالسعادة فى عروقه، نفض عن ملابسه ما علق بها من تراب، وخرج يتقافز إلى الحارة الضيقة، ومنها أسرع إلى الشارع الكبير.
حين رأى الحلوى التى يحبها تتألق فى ورقها المفضض، داخل فاترينة أحد المحلات، قال لنفسه : بالقطع لن يأخذ اللص منى حلوى لا يأكلها إلا الأطفال، فلماذا إذا لا أشترى رصيد الأسبوع كله، وهكذا لن يجد معى نقودا ليستولى عليها .
أسرع يدخل المحل ويقدم للبائع قطعة النقود الفضية فناولها البائع قطعة حلوى واحدة، ثم بدأ يحصى له باقى النقود، لكنه ردها إليه قائلا :
- لا يا عمى .. أريد حلوى بكل النقود .
ناوله البائع كيس ممتلئ عن آخره، فأسرع يفض غلاف إحداها ويضعها فى فمه، وراح يلوك الحلوى فى فمه مستمتعا بطعمها الذى يحبه، ومع حركة فمه تسرع خطواته متجنبا السيارات والمارة فى رشاقة، أملا فى أن يصل إلى بيتهم قبل حلول الظلام، وإن بدأت أعمدة النور تضىء من حوله، فأوسع من خطواته، فهاهى بشائر شارعهم تكاد تلوح مع الانثناءة القادمة، ولكنه ما أن وصل إليها حتى انقطع شلال النور، فصرخ فى خوف، وساد ظلام كئيب كاد يوجع قلبه ويوقف نبضاته، توقف يلهث متلفتا حوله للحظات، ثم اندفع يجرى لاهثا، وقد قفزت إلى مخيلته صور ما سمع من قصص مخيفة عن اللص، فأخذ جسده يرتعد بشده، وتمنى لو أنه لم يذهب إلى جدته، ولكن قبضة قوية أطبقت على كتفه فشلت تفكيره، استدار ملتفتا وراءه فى فزع، فوجد

رجلا مفرط الطول كأنه مارد الذى تحكى عنه جدته ويتنقل بين البلاد فى خطوة واحدة، يقف وقد وضع بين ساقيه دراجة، أسرع يعطى كيس الحلوى للرجل، لكنه لم يهتم به، فقال مرتعدا :
ـ والله يا عم .. ليست معى نقود، أنظر حتى لثنية سروالى مفكوكة وليست بها قطعة نقود واحدة، فلقد اشتريت بها جميعا هذه الحلوى .. خذها يا عمى .

عاد يدفع بكيس الحلوى للرجل، ولكنه رده إليه، وقال له يهدئه :
ـ لا تخف يا بنى .. احتفظ بحلواك .. قل لى .. ابن من أنت ؟.
قال وهو يبتلع لعابه فى مشقة :
ـ ابن .. الحاج محمد .. البرديني .
ـ كريم ابن كرام، اركب خلفى الدراجة لأوصلك لبيتكم .

لم تسعفه ساقيه المرتعدتين، فساعده على الجلوس على المعدة الحديدية، وقبل أن يتحرك شعر براحة شديدة، فاحتضن الرجل بقوة وقد شعر بدفء الأمان، فلقد جاء أخيرا من ينقذه من خوفه، وأشتد فى تعلقه بالرجل حتى لا يسقط من على الدراجة التى شقت الظلام فى سرعة، وما هى إلا لحظات حتى توقفت وأنزله أمام باب بيتهم، طالبا منه أن يبلغ سلامه لأبيه ، وأسرع الرجل تاركا المكان، فأسرع الطفل صاعدا درجات السلم فى ثبات وكأنه يراها وسط الظلام الدامس، وقد هدأ خوفه، كان يعلم أن لكل ثانية قيمة، فهو يريد أن يصل إلى فراشه قبل أن يعود أبوه من صلاة العشاء، فيجده نائما، فلا يلومه ولا يعاتبه أو يضربه، دق على الباب بطرقات لها إيقاع تعرفه أمه وتميزه به، فتح الباب بسرعة وكأن أمه كانت تقف خلفه منتظرة عودته، ولكنه فوجئ بأن أباه هو من تلقفه فى أحضانه، وقد فاض الشوق والقلق فى صوته، يسأله فى حنان شديد :
ـ أين كنت يا ولدى .. لقد بحثنا عنك عند كل أصحابك ؟!.

تلاحقت أنفاسه، راح يلهث بشدة، لم يستطع أن يرد من هول المفاجأة، ولم ينتظم تنفسه إلا بعد أن تركه أبوه لتتلقفه أمه، بعد لحظات أخذ يحكى لهم ما حدث، وحين انتهى إذا بالنور يتدفق من اللمبة المعلقة بسقف الصالة، ورأى أبوه ينظر إليه مبتسما فى حب، وهو يقول :
ـ هل تعلم يا ولدى أن من أوصلك للبيت؟.. إنه اللص الذى كنت تتخوف من مجيئه .

مجلة أكتوبر

قصة قصيرة

فخرى فايد

المتفرج

ـ ١ ـ

رفعوه فوق الأعناق وداروا به فى شوارع الحى يهتف بأعلى صوته، وهم يرددون وراءه :

ـ يسقط مصاصو دماء الشعب .

.. ولما مروا أمام دكان أبيه، زاد حماسه ورفع صوته أكثر، ليكون مميزا من بين مئات الأصوات، فلقد تصور مدى الفرحة التى ستغرد فى صدر أبيه، وهو يرى ابنه قد كبر وصار زعيما بين زملائه، رغم كونه ما زال طالبا فى نهائى المرحلة الإعدادية، ولذلك تعمد أن يذهب فور انتهاء المظاهرة إلى دكان أبيه ليرى فرحته، ولكن قبل أن يصل إلى الباب، فوجئ بأبيه يخرج مسرعا ليغلق الدكان، وهو يشير إليه أن ينتظر واقفا حيث هو، وحين انتهى، جذبه من ذراعه وهو يقول فى انفعال :

ـ تعال .. لنذهب معا إلى البيت، فلى معك حديث لا يصلح له الشارع .

سار معه فى تردد، فلم تكن لهجة الأب تحمل ذرة واحدة من البهجة، هى لهجة غامضة لا تريح، وفور أن فتح الأب باب بيتهم عرف صدق إحساسه، فلقد دفعه بعنف إلى الداخل وانهال عليه ضربا، تارة بيديه، وتارة برجليه، وهو يلهث من شدة الانفعال، صارخا :

ـ هل ربيتك على هذا، مالك أنت والمظاهرات؟ .

قال وقد أحاط وجهه بيديه خشية الإصابة :

ـ إنها تظاهرة للاحتجاج على الغلاء .

قال الأب :

ـ ومالنا نحن والغلاء، هل رأيتك لا تأكل أو لا تشرب أو لا تكسى، أم تراك حرمت من مصروف يدك، أليس هذا الغلاء واقع على البلد بحالها، فلماذا لا تترك غيرك ليحتج ويتظاهر ؟!!.

قال شارحا :

ـ يا أبت إذا كنا نحن نستطيع أن نصرخ ونعبر، فلعل غيرنا لا يقدرون، رغم ما هم فيه من ضنك .

ـ .. بل هم لا يصرخون لأنهم يحمدون الله راضين بما قسم لهم، فهناك بلاد لا يجد أهلها لقمة الخبز، ولا شربة الماء.

ثم قال لاهثا وهو يتوقف عن ضربه بعد أن خارت قواه :

ـ ثم ما شأننا نحن بغيرنا، قالوا لجحا : النار تحرق شقة جيرانك، قال ومالى أنا بشقة جيرانى، مادامت النار لم تصل إلى شقتى .

ثم أردف وهو يتجه إلى حجرة نومه :

ـ إنها أول وآخر مرة تقدم فيها على مثل هذا الشطط.

قال ليرضيه :

ـ لقد رفعونى على أعناقهم غصبا .

رد عليه وهو يغلق الباب :

ـ ولماذا ارتفعت ؟!.

ـ ٢ ـ

.. منذ ذلك اليوم لم يشارك فى أى تظاهرة، وحين انتقل للمدرسة الثانوية، أصبح منطويا، وابتعد تماما عن مجالس المكاشفة التى كان يقيمها زملاؤه أثناء فترات الراحة بين حصص الدراسة، فيتحدثون عما قرءوا، وما شاهدوا، وعما عملوا، وما ينتوون عمله، حتى الرحلات التى كانت تنظمها المدرسة، كان يجد أعذارا كثيرة يسوقها ليتخلف عنها، ولقد ظن زملاؤه أنه يريد

ألا يضيع وقته ليتفوق عليهم، ويحصل على أعلى الدرجات، ولكنه كان يفاجئهم بأنه يحصل على درجات متدنية !.

.. ولقد لاحظ كلما تقدمت به سنوات الدراسة، أنه لم يعد وحده الذى أدركه الانطواء، فأكثر زملائه، إن لم يكونوا كلهم، كانوا يتحولون للصمت والكآبة .

ـ ٣ ـ

ومع مرور السنوات أصبح لا يبالى بما يحدث حوله، حتى لو استغاث به مستنجد، فلا يسمع لاستغاثته .. وظل على ذلك الحال وهو فى الجامعة، فلا شأن له بما يجرى حوله مهما كانت الأحداث مستثيرة، وإذا أبدى أصدقاءه استغرابا من موقفه، كان يقول :

ـ وهل هى بلدى وحدى ؟!!.

بل لقد أصبح يتصرف بنفس الطريقة فيما يخصه، فإذا ما أراد أن ينازعه آخر فى شيء، حتى وإن كان حقا من حقوقه، انسحب من أمامه فى صمت، متقبلا الإهانات التى توجه له، والسباب الذى يملأ أذنيه أثناء انصرافه .

ـ ٤ ـ

حين انتهى من تعليمه الجامعى، شعر بأنه قد أنهى المهمة التى كلفه بها أبوه، وأنه أداها بنجاح، وتقوقع فى البيت منتظرا خطابا يصله بالتعيين فى إحدى المصالح الحكومية، قاضيا وقته فى مشاهدة التليفزيون، أو فى تأمل الناس المارين تحت شباك حجرته؛ ولما طال الانتظار، قال له أبوه ذات يوم، أنه سمع عن منظمة تأهيلية تنظم دورات لأمثاله من الخريجين لتجهيزهم للعمل، فتدربهم على الكمبيوتر واللغة الإنجليزية، وأن أبوه قد سارع بشراء استمارات الالتحاق لتلك الدورة، خاصة وقد علم بأنهم يمنحون المتدربين مكافأة مالية كل شهر تزيد على مائتى جنيه، وكل المطلوب منه أن ينجح فى اختبار القبول.

ولقد نجح كغيره من المتقدمين، رغم جهله بما سئل عنه، وشجعه اشتراكه فى الدورة على الخروج إلى الدنيا، كما أعطته المكافأة التى صرفت له، القدرة على السهر بالمقهى ولعب الفيديو جيم، لكن سرعان ما انتهت الشهور الثلاثة، ليعانى من جديد من الإفلاس، وكما وأنه لم يتعلم ما يفيده فى مواجهة الحياة من الجامعة، لم يتعلم شيئا من دورة الكمبيوتر .

وإن كان قد تعلم أن يشكو من البطالة وندرة المال، وحين مل أبوه من كثرة شكواه، ورفضه بإصرار أن يساعده فى عمله بالدكان، قرر أن يصحبه إلى عضو مجلس الشعب الذى يمثل منطقة سكنهم ليرشحه للعمل بإحدى المصالح، خاصة وأن العضو قد أعلن إعادة ترشيح نفسه فى الانتخابات التى ستجرى خلال أيام، وهذا هو بلا شك أنسب الأوقات لقضاء الحاجات .

.. ولقد لاحظ هو أن يد السياسى قد احتضنت قفاه فى متعة وأخذت تتلمسه، وبعد بضع لمسات لاحظ أن المس قد تحول لصفعات يسمع رنينها بوضوح، قال لنفسه : ليضرب، لعل سكوتى سينتهى به إلى أن يجد لى عملا يرحمنى من خناقة كل يوم مع أمى لكى تدبر لى مصروفات المقهى استقطاعا من مصاريف الطعام، إذا فليضرب كما يحلو له !.

لكن توقعه لم يصب، فلقد اعتذر السياسى لأبيه متعللا بأن الدولة تعانى من تكدس الموظفين، وأن على أبوه أن يبحث له عن عمل فى المناطق المعمرة حديثا، أو ليدفع عشرة آلاف جنيه لتمكين ابنه من العمل فى إحدى الهيئات المميزة، ولقد أقسم السياسى بأنه لن يناله من هذا المال قرش واحد، لأن المسئول المباشر بالهيئة هو من وضع هذه التسعيرة لمن يريد التوظف، فالمرتبات فيها مرتفعة وتبدأ من ألف جنيه فى الشهر، حينئذ شهق أبوه شهقة حادة كادت تزهق روحه : عشرة آلاف جنيه ؟!!.

.. لكنه لم يعلق بكلمة واحدة، وإن فغر فاه فى ذهول، فهو يعلم علم اليقين أن أباه لن يستطيع تدبير هذا المبلغ، وأن الحوار قد انقطع، وحين لاحظ المسئول نظرة اليأس فى عينيه، قال مخففا عنه:

ـ إذًا عليك أن تنتظر ما وعدت به الحكومة فى تصريحاتها عن إيجاد ٢٠٠ ألف فرصة عمل للخريجين من الجامعات والمدارس المتوسطة، وعند إذ أستطيع أن أضمن لك عملا .

حين حكى لندمائه فى المقهى عما حدث، حولوا حديثه لملهاة وزادوا واستفاضوا فى إصرار السياسى على الإمساك به من قفاه، وإن أقسموا ألا ينتخبوه لاستهتاره بأصواتهم، وقد كان، ورغم هذا فقد نجح !!.

ـ ٥ ـ

ذات يوم سأله أحد أصدقاء المقهى وقد فقد اتزانه من تدخين " البانجو " قائلا :
ـ لماذا لا تتزوج ؟.
تساءل هو فى هدوء :
ـ ومن أين لى الزواج، وليس لدى عمل ولا مال ولا شقة ؟!!..
قال المسطول مستغربا :
ـ وهل عيال الشوارع من طلبة المدارس الذين تزوجوا من بنات كالقشدة، وهم لا يملكون شيئا، خير منك ؟!.. يا رجل تزوج لتجد ما يشغلك فتستريح، ولو أننى أعلم أنك لن تفعل، وطالما هذا هو الحال، فرقع مثلى سيجارتين بانجو لتنسى ؟ .
ناوله السيجارة التى كان ممسكا بها، وقد راح يضحك ويسعل فى آن معا .
حين خلا بنفسه تساءل محتجا على ما قال، متمردا على جبنه : حقا لم لا أتزوج، وابنة جيراننا تتودد إلى وتغرق عينى فى عينيها، وتطاردنى بكلماتها الغامزة كلما

رأتنى: وحشتنا .. لماذا لا نراك كثيرا، لتخطىء مرة وتطرق بابنا ..
هى تقاربه فى السن، ولعلها أكبر منه بسنوات قليلة، سمع أنها تملك أرضا ورثتها عن أبيها تدر عليها دخلا، كما وأنها تعمل فى أحد مكاتب الاتصالات، فلماذا لا يتزوجها، وتتولى هى الإنفاق عليه، أليست هى من تحبه، إذا فلتدفع ثمن حبها .

ـ ٦ ـ

استقبلت عرضه بفرحة غامرة، قالت له أنها ستضعه فى عينيها، وعليه أن لا يحمل هم أى شىء، وسوف تتدبر هى الأمر، فيقيمان مع أمها فى شقتها، فهى ابنتها الوحيدة، وليس لها أحد فى الدنيا بعد وفاة أبيها غيرها، وحين عرضت على أمها الأمر احتجت الأم بأن من اختارته عاطل، وردت عليها بأن ظل رجل أجدى من ظل حيطان شقتهم بكآبتها، ثم أفصحت عن كونها ستتزوجه رضيت الأم أم لم ترض .
وتزوجا خلال يومين، فلقد قالت له أن فى شقتهم كل شيء يحتاجانه، ويكفيها هو مهرا وشبكة، لقد باعت الدنيا من أجله، فهو لا يعرف غيرها، ولم تجده كغيره من الشباب، تزوغ عينيه على من حوله من فتيات، فهو لها وحدها، وهى تحب المخلصين .
أما أمها فلقد ظلت تطارده بكلماتها، معربة عن امتعاضها من كونه لا يحمل من صفات الرجولة غير جسده، أما الفعل فلا، وإلا ما ترك ابنتها تعمل وتشقى لتنفق عليه بينما هو مدفون بالبيت، أو قاعد بالمقهى .
فى البدء شعر بالضيق الشديد من كلماتها، وأحس بأنها تجرحه، تمنى لو يجد عملا، لكنه سرعان ما وجد جبلا من المنغصات يحول بينه وبين حتى أن يحلم بهذا، وحين عاد لركنه بالمقهى، سرعان ما اعتاد كلماتها، وأصبح يقابلها بابتسامة لا مبالية، قائلا :
ـ يا حماتى دعيها تسير، وهى مستورة .
قالت فى غيظ :
ـ إذا افعل أى شىء.. ابلغ المجارى عن ارتفاع المياه بالمنور حتى أصبحت تكاد تدخل علينا الشقة وتفسد الفرش .
قال فى برود :
ـ ولماذا تشكين وحدك، أليست هناك ثلاث شقق أخرى تعانى مما نعانيه، دعيهم هم يقومون بالإبلاغ ؟!!.. ودعينى من وجع الدماغ، فعندى ما يشغلنى .

أسرع إلى المقهى فلقد كانت هناك مباراة كرة قدم مذاعة على شاشة التليفزيون، وأثناء المشاهدة يتناول أصحابه الأحداث التى تجرى فى حارتهم بالنقد والسخرية، فهم يرون أن أهلها لا نفع منهم، ولا خير سيأتى من ورائهم طالما هم لا يفعلون شيئا غير البكاء مما يعانون من فساد كل شيء يحيط بهم فالطرقات تغص بالحفر وتمتلئ بالماء والطين فى الشتاء وبالتراب فى الصيف، والمواصلات لا تنتظم، ولا تستوعب الأعداد المخيفة من الركاب، وتتيح للصوص سرقة ركابها حتى يظن أحيانا أن هناك مؤامرة تحاك بالتضامن بين اللصوص والمسئولين، الكل يعيش حالة اللامبالاة مما يحدث لهم من غلاء وسرقة واغتصاب وسرقة ونصب ومرض وبطالة، فقط هم يلوكون الكلمات، ويمصمصون الشفاه، وقد أعجبهم القعود والفرجة ؟!!.

وحين انتهت قعدتهم، فاجأهم صاحب المقهى بمضاعفة ثمن المشروبات للمرة الرابعة خلال أيام بحجة زيادة أسعار، ولقد قالوا له ما يقولونه فى كل مرة من كونهم سيبحثون عن مقهى آخر، ثم لم يلبثوا ودفعوا ما طلب، والتقوا من جديد فى ذات المكان.

ولقد بدأت حماته تشكو هى الأخرى من كون مرتب ابنتها لم يعد يكفى مصاريفه ومصاريف البيت، وحين عادت ابنتها من العمل كررت نفس ما قالته له، وعلا صوتهما، ثم اختتم الشجار بلوم الأم لابنتها على عدم دفعه للبحث عن عمل، ونهرتها زوجته مدافعة عنه قائلة أن كل شباب البلد بلا عمل، وأكدت أنها سوف تتصرف لتحقق لأمها المزيد من المال .

ومع مرور الأيام لاحظ أن زوجته أصبحت تتغيب لفترات طويلة فى العودة إلى البيت، ثم أصبحت لا تعود إلا مع بصيص ضوء النهار، قال لنفسه أراقب تصرفاتها، لكنه لم يفعل فلقد بدأت النقود تظهر معها بكثرة، وزادت من مصروفه اليومى، أما حماته فلم تعد تتقبل ما يجرى، وراحت تحرضه لمراجعة ابنتها فى سلوكها، فهم أشراف أطهار طيلة عمرهم، وقالت له أن سيرة زوجته قد أصبحت على كل لسان، وحين قال لزوجته ما تقوله أمها، ضربتها، وهددتها بأنها سوف تطردها من البيت، وحتى يهون الأمر على حماته قال لها :

- ما بالك مهمومة هكذا، دعيها فهى بما تفعل لن تضر أحدا غير نفسها.

ثم همس لنفسه مطمئنا إن كل ما عليه أن يحتاط حتى لا تنتقل إليه العدوى إذا ما رغب فيها، أو ليبحث له عن فتاة نظيفة فيتزوجها دون أن تعلم زوجته، خاصة وقد قررت حماته الرحيل عن البيت، قائلة أنها لن تأكل لقمتها من حرام، ولكنه سرعان ما رأى أنه من السفه أن يفكر فى امرأة غيرها بعد كل ما قدمت له !!.

وبعد أيام معدودات انقطع عن الجلوس على المقهى، فلقد اشترت له زوجته " دش " قالت أنه سيرى من خلاله برامج العالم كله، ولقد دربته هى على استخدامه للموجه " الريموت "، ثم تركته واختفت تماما من البيت، ولم يلحظ هو تغيرا فلقد جلس فى حجرة نومهم أمام التليفزيون منهمكا يقلب القنوات، ويرى الدنيا من حوله غريبة عجيبة: ناس يعانون الفقر، وآخرين يتفجرون بالثراء، وغيرهم يتظاهرون، ويعتصمون، ويتضاربون، ويقتلون ويقتلون، مصرين على تحقيق أهدافهم، بينما تقتحم جيوش حياة الغرباء تذبحهم وتدمر بيوتهم، فى حين يرى ناس يلعبون، ويغنون، ويرقصون، ويتعرون، ووسط هذا جميعه كان يقتطع من وقت الفرجة لحظات، فينزل درجات السلم مسرعا ليشترى الخبز والجبن وعلب اللحم والسمك المجهز، ولكنه صار يفضل مواصلة المشاهدة عن الانشغال بإضاعة الوقت فى طعام .

- ٧ -

ذات يوم تذكرت أنها متزوجة، وأن من هجرته قد ملأ قلبها حبا، فعاودها الشوق، وأضناها القلق عليه، فتزينت وأسرعت إلى البيت، روحها تسبق خطواتها، فتحت الباب فى هدوء، كانت تريد أن تفاجئه، لكنها حين دخلت حجرة حبها صرخت فى لوعة، فلقد وجدت جسده منكفئا على منضدة التليفزيون وقد فارق الحياة، بينما كان التليفزيون يبث وقائع جنازة شهيد فلسطينى .

" حقيقــة "

أثناء حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل
أسقطت طائرة إسرائيلية قنابلها فوق مدرسة
للأطفـال بقرية " بحر البقر "، وأثناء حرب
٦ أكتوبر أسقطت صواريخ المصرية، طائرة
إسرائيلية فى حقول القرية ذاتها "

أمنيـــــة

- ١ -

ظل لسنوات يحلم بأن تكون له طفلة ، ابنة تكون له مثل ما كانت أخواته لأبيه حباً وعطفاً ورعاية حملت امرأته . اكثر من الدعاء والتوسل لله بأن يحقق أمله . وكلما مرت الأيام وصنعت شهوراً زاد قلقة .. إلى أن سمع صوتها يأتى رقيقاً عبر الحجرة التى تلد فيها زوجته . ثم سمع صوت القابلة يؤكد فى تردد : " ربنا يطول عمرك وتعيش حتى تزوجها "
صرخ بكل شوقه :
- بنت .. الحمد لك يا رب .. تحققت أمنيتى .

- ٢ -

كانت تكبر بين حدقتى عينيه . مع نموها ينمو حبها له ويطغى حتى صارت لا تأكل أو تشرب شيئاً الا وضعته أمام فمه متسائلة فى رجاء :
-ألا تأخذه أنت يا أبى ؟
جميلة هى ، ولقد أقلقه جمالها الصارخ ، فأستنجد بالأولياء ، وبكتاب الاحجبة ، لكى يحفظها الله من عيون الحساد .
ثم فكر أن يمنعها من الذهاب الى مدرسة القرية ، أن يجعلها لا تغادر البيت ، ولكن كيف يفعل هذا وأمنيته أن تكبر .. وتكبر وتصبح طبيبة ترعاه فى شيخوخته؟ ..
ولقد كان هو الرجل الوحيد فى قرية البقر الذى يصطحب ابنته كل صباح الى المدرسة ، وينتظرها عند الظهيرة ليعود بها إلى الدار ، ولأنه من المعتاد أن تقوم النساء بهذا الدور . .
كثيراً ما يسأله رجال القرية ساخرين :
-لماذا لا تدخل معها الفصل يا عمدة ؟!!!
.. والواقع أنه كثيراً ما سأل نفسه : حقاً لماذا لا أدخل معها ؟!!!

- ٣ -

صرخ الخطر مع انفجار قنابل الطائرات المغيرة فى حقول القرية ، جار صوت رجل :
- الطائرة ضربت المدرسة يا رجال ..
توجع قلب امرأة :
- عيالى فى المدرسة .
.. انكفأ فى قعدته .. سقط على وجهه .. سال دمه على أيدى الذين أعانوه على الاعتدال .. أن :
- أبنتى .. أمنية .. هناك
دارت به الدنيا ، أغش عليه .

- ٤ -

استفسر في إصرار عن نوع الطائرة وعن طريق إسقاطها ، وتمنى أن يجلس وراء مدفع ماسورته تشمخ لأعلا باحثة بين نتف الغيوم لتطلق داناتها فلا تخطىء الهدف ، وهدفه دائماً طائرة بذاتها ، وطيار بذاته يحدد ملامحه وكأنه رآه وعرفه بل وتأمله كثيراً حتى حفرت صورته فى ذاكرته بكل وضوح .

.. لما سأل عن الطريقة التى يستطيع أن يملك بها مدفعاً فوجئ باستحالة مطلبه حتى لو باع كل ما يملك ، لذا راح يتخيل نفسه طائراً فى السماء يلاحق ذات الطائرة الضخمة التى مرت فى سماء القرية وأسقطت قنابلها فوق أمنية فتطايرت أشلاء حتى أنه لم يعثر لها على أثر .. يتوجع قلبه :

ــ سألحق بها .

ويسرع فى طيرانه .. ويسرع ، يلحق بالطائرة ، يقف فوق جسمها العملاق ، ينهال عليه بالمطرقة ، لا .. بيديه يفتتها . وقبل أن تسقط يمد يده إلى كابينة القيادة ويخرجه منها ذو الوجه الكريه ، ينزل به إلى الأرض يخنقه ، يقطعه بسكين صدئة ، بادئاً باليدين ، لا .. بادئاً بالأصابع ، بل بأجزاء من الأصابع .. إلى أن يحوله إلى فتات صغيرة تذروها الرياح فيتابعها بنشوة عارمة وهى تتلاشى عاوياً فى تشف :

ــ اذهب .. تبدد .. تبدد .

.. وهنا كان يبكى بحرقه وتمتد أيدى زوجته وأبناؤه لتوقظه من كابوسه الرهيب ، لكن الحلم تمدد وتضخم وصار كل حياته فأصبح يراه وهو جالس بين اهل القرية ، وهز الرجال رؤوسهم مشفقين :

ــ لا اله إلا الله .. عمدة القرية يسعى حثيثاً فى طريق الجنون .

- ٥ -

قرية بحر البقر : تجرى نساءها، رجالها، أطفالها،، دوابها، طيورها .. والصرخات الفرحة المتشفية تتناثر من الأفواه :

- مدفعيتنا أسقطت طائرة العدو .
- طيارها قفز حياً .
- هيا نقتله .
- نقتله .
- نقتله .

انحنت عليه زوجته تهزه فى ترفق وتشرح له الموقف وهو غير مدرك أو مستجيب فلم تجد مناصاً من أن تهزه بشدة صارخة :

- أنهض .. لقد تحققت أمنيتك .. الطيار قاتل ابنتنا أسقطوه ..

توهج عقله الخامل .. دبت الحياة فى أوصاله ، قفز من فراشه فى نزق :

- آه أخيراً وقع فى يدى ابن القتلة .

.. بملابس نومه اندفع خارجاً من داره ، بكل قواه يجرى متخطياً من أمامه ،لكنه وجد آخرين قد سبقوه ، وقع الطيار بين أيديهم يصرخ فى هلع .. أقترب منه : يدا السفاح مخالب النسر .. لا بل يدان عاديتان لكنهما ملطختان بالدماء .. دماء ابنته التى قتلها ، ويقترب أكثر .. بل هى دماؤه هو .. فرأسه مشجوجة ، والأيدى تنهال فوقه باللكمات فى حقد ، كل واحد منهم له ابن مات ، لكن مصيبتهم ليست فى حجم مصيبته .. مصيبته أمر واقع ، صرخ فيهم :

- دعوه لى .. ابتعدوا عنه .. أنا الذى سأقتله .

أفزعتهم الصرخة .. توقفوا .. نظروا إلى عمدتهم .. هالهم الجنون الذى يبرق من عينيه تراجعوا للخلف .. خطوات ، تقدم وجسده ينتفض من شدة الانفعال .. تحول وجه الطيار الى عينين

كبيرتين فزعتين .. التقت العيون : عيونه خضراء فى عين النبات الفضى .. نفس لون عيونها .. عيون أمينة .. أبنته ، حتى لون دمه الذى يسيل كلون دمها .. فتح الطيار فمه وتوسل :
- أمان .. سلام .. لا تقتلنى يا مصرى .. أبى سيموت .. أبى يحبنى
يا حبة القلب .. أباك يحبك .. آه .. أحبك ..
سالت دموعه وهو ينحنى على أمنية وقد فتحت فمها رضيعة تنتظر أن يلقفها حلمة الثدى الصناعى وعيناها تنظران إليه فى توسل ورجاء بأن لا يخذلها :
- يا مسكينة .. يا مسكينة .
ركع بجانبه .. أخذ رأسه إلى صدره .. بهت أهل القرية ثم تصايحوا فى غضب :
- مجنون .. يصمد جراح قاتله .
تدافعت الجموع تحيط به .. امتدت الأيدى محاولة تخليص الطيار من بين يديه ، لكنه حمله ونهض شامخاً ، لا يدرى من أين جاءته كل تلك القوة التى جعلته يحمل الطيار بين يديه وأمنيته .. آخر أمنياته أن يخرج بالأسير من بينهم حياً، حتى لو استوجب الأمر أن يموت هو .

مجلة أكتوبر يناير ١٩٩٥

ويشـاء الله

أبلغه أصدقاءه أن "المعلاوى" قد اقسم بأنه سوف يعمل جاهدا على أن يجعله يخسر الانتخابات حين علم بأنه يؤيد قائمة " عبدا لحق "، وهو يعرف "المعلاوى " تمام المعرفة، فلقد كانا زميلين فى المدرسة، ثم اكمل هو دراسته التعليمية بالجامعة، فى حين فضل "المعلاوى" أن يكتفى بما حظى به من التعليم، وتفرغ لإدارة تجارة والده " المعلاوى " الكبير .

هو يعرف أن "المعلاوى" إذا كره عنيف فى كراهيته كل العنف، لا يعرف العفو أو المغفرة، وكانت له عقيدة اشتهر بها بين زملائه تقول :

- من لا يطع أوامرى، هو عدو لى، وعدوى لابد أن اسحقه.

وكان لا يستطيع أحد من التلاميذ أن يعاديه، ليس حبا فى " المعلاوى"، أو خوفا من بطشه، ولكن حبا فى الحلوى والمأكولات التى كانت حقيبته المدرسية لا تخلوا منها، وخوفا من الحرمان من هباته، فمصروف أى منهم لا يكفى لشراء قطعة مما يوزعه عليهم من مأكولات، كانوا لا يعرفون فى أحيان كثيرة اسما لها، وأن كانت لذيذة الطعم، ولقد كان " المعلاوى " يسر سرورا عظيما حين يكتشف انهم يجهلون ما يأكلون مما يعطيه لهم، ويزداد سرورا إذا عرف أنهم لم يروها من قبل طيلة حياتهم .

ولقد امتد نفوذ "المعلاوى" إلى السعاة والمدرسين، بل لقد قالوا أن ناظر المدرسة يعمل فى المساء كاتبا فى محلات جده الكبير، لهذا لم يجعل وعيد " المعلاوى " وتهديده ، فى نفسه أملا فى أن يكون ضمن قائمة الناجحين، وجعل كل همه يتركز فى إنجاح قائمة " عبد الحق "، وبهذا يتحقق هدفه الأساسى وهو إضعاف المجموعة القديمة التى أفسدت المجلس وزادت من غرور وطغيان " المعلاوى " لكثرة ما نافقته هذه الطغمة، حتى لقد وصل به الحال أن أصبح يقول بلا حياء أنه يملك مصائر الجميع، وحين اكتشف " المعلاوى " المخطط الذى كان يدبره له، أقسم بأنه سوف ينال أعلى الأصوات رغم انفه، وأن قائمته سوف تنجح فرداً فرداً، وأن صاحبنا لن يرى كرسى المجلس، ولن يدخله إلا على جثته.

حاول زملاء الدراسة أن يصلحوا بينهما، لكن المقابل الذى طلبه " المعلاوى " منه كان من الصعب قبوله، فلقد أصر على أنه لن تكون هناك مصالحة إلا إذا تنازل صاحبنا عن ترشيح نفسه، وان يعلن معاداته الصريحة لقائمة " عبد الحق "، ولقد كان من السهل على صاحبنا أن يتنازل عن الترشيح منسحبا، فهو لن يخسر شيئا أن تنازل، لأنه سوف يسقط لا محالة، ولكن أن يأخذ خطا لا يتفق مع عقيدته، ويقف ضد مبدئه، فإنه المحال بعينة .

التزم الصمت، فلم يبد رأيا فيما قال " المعلاوى "، ولم يعقب على ما حمل إليه من كلام بكلمة واحدة، لانه يعرف أن " المعلاوى " يستطيع أن يحقق ما يقول، ولكنه أيضا لا يستطيع أن يقبل ما أعلنه لأسباب كثيرة، أولها أن تراجعه وانهزامه المعلن سوف يكون سقطة تحطم آمال الذين يرون فى موقفه بارقة تبشر بغد آت

بالخلاص ، كما وانه مقتنع بضرورة إسقاط مجموعة " المعلاوى " ليس فقط لأنهم فاسدون ، ولكن لأنهم هم من افسدوا " المعلاوى " وزادوا من طغيانه، ولعل فى إبعادهم عنه إصلاح لحاله، " فالمعلاوى " مهما فعل هو فى أعماق أعماقه صديق، وعلى الصديق أن ينصر صديقه القديم حتى وإن أعلنه العداوة.

ولم يعجب صاحبنا حين أعلنت نتيجة الانتخابات، وتحقق " للمعلاوى " ما أراد لنفسه، فكان اكثر الناجحين أصواتا متفوقا على " عبد الحق " ، أما هو فلقد كان ترتيبه الأول فى قائمة الراسبين، ولكن ما أسعده، وهون عليه رسوبه، أن أكثر المؤيدين " لعبد الحق " قد نجحوا نجاحا لم يكن يتصوره أحد، كما أن سقوطه لم يكن مدويا، فلقد كان الفاصل بينه وبين أخر الناجحين صوتا واحدا، ولقد استعدته النتيجة، فلقد اعتبر نفسه قد نجح نجاحا عظيما بنجاح من كان يزكيهم عند الناخبين، فهو لا يملك غير رصيد الحب، وحسن التعامل مع أهل المنطقة أما " المعلاوى " فيملك التيسيرات المالية التى يقدمها لمن يلجأ إليه، ويملك نسبة الخصم التى يعطيها لمن يريد الشراء من سلسلة محلاته المنتشرة فى كل مكان، وتبيع كل متطلبات الحياة .

ذهب بروح الزمالة القديمة إلى " المعلاوى" مهنئا ، فقابلة شامتا وهو يقول :

ـ يبدو انك قد نسيت أن " المعلاوى " يفعل ما يريد دائما، لقد قلت انك لن تدخل المجلس إلا فوق جثتى، وهذا ما كان ، وسيظل يحدث ما بقيت حيا، وأظنك تعلم أننى لست سقيما كثير المرض مثلك، فأنا سليم معافى، كما أننى أصغر منك سنا، باختصار، وبحسبة بسيطة، نجد أنك لن تدخل المجلس طوال عمرك، وهذا ما سوف احرص عليه .

. . وضحك " المعلاوى " طويلا لأنه اكتشف انتصاره الأبدى على غريمه، ورد هو فى هدوء قائلا :

ـ معك كل الحق يا " معلاوى " فأنت تستطيع هذا، حقا تستطيعه، ولكنك نسيت أن هناك اله هو الفعال لما يريد، ولست أنت .

ومرت الأيام سراعا .

واقتربت لحظة افتتاح المجلس، وكان هو يجلس أمام التلفاز انتظارا لنقل مراسم حفل الافتتاح، فلقد أعلنت المذيعة أن الحفل سوف ينقل على الهواء مباشرة تقديرا لمساهمات " المعلاوى " فى مشروعات الخير، وتحقق الوعد وتتابعت المراسم ورأى " المعلاوى " يتقدم داخلا فى خيلاء وحوله شله من المنافقين يباركون ويحيون، وفجأة اهتزت الصورة، وسمع هرجا شديدا، ثم قطع الإرسال وظهر المذيع يعتذر عن الاستمرار فى نقل وقائع جلسة الافتتاح لأسباب طارئة .

انتابه قلق شديد، توجس حدوث مكروه، وما هى إلا لحظات ورن جرس المسرة، وحين جاءه صوت "عبد الحق" شعر بالطمأنينة، ولكن حين تدفقت كلمات "عبد الحق" متهدجة بالآسي تروى ما حدث استبان الأمر، أدرك سر القلق الذى انتابه، فلقد علم بأن " المعلاوى " سقط فجأة وهو يستعد للصعود على الدرج، وحين أسرع إليه الموجودون وجدوه محمر الوجه، يلهث بشدة وقد تقطعت أنفاسه، ولما

وصل إليه الأطباء يفحصونه ويقيسون ضغطه ويعدون نبضة، سرعان ما اعتدلوا معلنين فى أسف انه قد مات إ!

أسرع يرتدى ملابس الخروج كما طلب منه (عبد الحق) حتى يلحقا بإجراءات الجنازة، ولم يملك صاحبنا مقاومة دمعة أسى انفلتت صادقة من عينيه، وهم يدلون جثمان " المعلاوى " فى حفرة القبر، حين تذكر صدق ما قال، فهو العضو الذى سوف يخلف " المعلاوى " حسب ترتيب الراسبين، فتمتم وهو يرفع يديه داعيا له بالمغفرة :

- رحمك الله يا صديقى ، فلقد شاء الله أن يتحقق لك ما قلت، فلم ادخل المجلس إلا بعد أن مت . وإنا جميعا ميتون .

مجلة أكتوبر أبريل ١٩٩٨